

طربوش الزعيم

عَلاء حَامِد

إهداء

قلبى حائر .. يدى ترتجف

إشفاقاً على نفسى .. وعليها

وأنا أهديها كلمات كتابى

إحدى قصصى .. قصتها

علاء حامد

وتزوج ... أمه



أمس

غاضبة منى .. لماذا ؟ لم أفعل ما أستحق عليه كل هذا الغضب !! لا يستأهل القتل كل هذا الإنفعال البادى على صفحة وجهك الرائق !! .

كنت أريدك بجانبي .. ولكنك رفضت .. قررت هجرى ، وأنا بدونك لا شيء فى هذا العالم .. إننى فى حاجة إلى التحدث يوماً كاملا ، شهراً .. دهراً .. وثقى أننى لن أمل الحديث معك ان أمل سمات وجهك الهادئة الحالمة ، لقد داهمتنى الإنفلونزا منذ أمس .. فكم كنت أتمنى أن تكونى بجوارى تنبضين بالحياة تقدمين لى بيدك الناعمة .. كوب ماء .. عصير ليمون .. قرصين أسبرين .

ماذا تقولين ؟ ؟ لا أرجوك .. لا تصميني بهذه الصفة فأنا عاقل متزن .. لم أكن أحب لك الموت ولم أكن أطيق فراقك .. ماذا ؟ ترفضين الإنصات لى .. لم ؟ إن ما فعلته كان من أجلك .. ومن أجل .. من أجـــل حبنا أن يبقى نقياً دون شوائب .. طاهراً .. عفيفاً .. أرجوك لا تصمى أذنيك .. إسمعينى فى حديثى راحة لنفسى ، لم أكن أريد قتلك ومع ذلك لم يكن أمامى وسيلة أخرى تبقين بجانبى .. أما زلت تصرين على عـــدم الإصغاء إلى ،

إذن فلنبحث عن موضـوع آخر نتحدث عنه . . فى أى شىء . .
نعم ؟ ما هو ؟ !

آه . . ! ! المجتمع . . إنه مادة حديث شائع . . جامد . . جمود الأرض التى تطوى رطوبتها جدك . . لقد أصبح الناس فى المجتمع كصراصـــير دورات المياه لا تظهر إلا فى الظلام ولا تتغذى إلا على النفايات . . لا . . ياحبيبتى . . دعى ذلك ، ولتكن مادة حديثنا دسمة . . مدونة . . كجثة سمينة تشبع النهم والمحروم .

نعم ؟ ؟ قد تتعب عقولنا . . وماذا فى ذلك ؟ ! تريدين مثالا . .
آه . . عفوا فقد ضاعت أفكارى من تحت يدى . . ولنعد إذن إلى حديث الناس . . فالناس هم المجتمع .

تعترضين . . عندك حق كل الحق فالحيوانات هى الأخرى تكون مجتمعات . . أعترف لك بقصور تفكيرى . . ولكن ما الفرق ! ! وعاء يختزن بداخله كل الغرائز . . ترغبين تحديدا أكثر . . فلتكن تلك رغبتك . ولكن عن أى شىء تريدين منى الخوض والاسترسال فيه ؟ ؟ . . فى المرأة فى الرجل . . فى المشاعر الإنسانية النابعة . . فى الفرح . . فى الألم . . فى التعاسة . . فى القـــدر . . فى الخيانة ؟ إنها رؤوس مواضيع يطول فيها الحديث ويتفرع . . ماذا ؟ غلب حمارك . . أختار أنا الموضوع . . وهل ستعترضين على رؤيتى ؟ ؟ لماذا تبتسمين . . إن قلبى يخفق بشدة من إبتسامتك تلك الحانية . . أرتفع بها فوق . . فوق إلى أعلى حول طيور السحاب . . أن تعترضى . . . جزاك الله

شهرا . . لقد أرحت نفسي . إذاً ما رأيك في الحديث عن موضوع احتار فيه الأدباء والفلاسفة والعلماء وضعوا منه أصابعهم العشرة في الشق . . سر الحياة التي يعيشها المخلوق . . نعم ؟؟ مهلا ياصديقتي . . ياحبيبتي . . يا أمي . . يا زوجتي . . لا تتعجلي ، فسألقاك قريباً . . قريباً أكثر مما تتصورين . . لنعرف سوياً سر الحياة . . لا داعي للعجلة فهي ينفث الشيطان . . ولكن قبلها دعيني أسرق لحظات أتحدث فيها عن نفسي . .

أمل أكبر من إرادتي العاجزة . . إرادتي تئن داخل حقيقتي الضائعة . . أريد أن أبكي ولكنني أحبس دموعي حتى لا يقال أنني أحمل شيمة من شيم النساء . أرق المشاعر فرق الناس فيها بين الرجل والمرأة !! أريد الصراخ ولكنني أكتم صرختي كالرجال لتسري داخل كياني ألماً وضيقاً يجرس كل ما هو جميل داخلي . . أويد أن أخبط رأسي في الحائط ولكنني أخاف من الألم وأرهب نقاط الدماء القانية .

لا تغضبي مني أرجوك . . لا تغضبي حاجبيك فأنا أعلم كم تكرهين الحديث عن الدماء . . ولا تصدقين ما أقول لأنني غسلت منذ ساعات نقاط الدم الأحمر القاني من على الملاءة البيضاء بعد أن توقفت من فك الوديع . . ولكن أعذريني . . فلم أكن أود فراقك . . تريدين أن تعرفي لماذا فعلت ذلك . . لا ليس قبل أن أتحدث عن نفسي قليلا . . فحديثي هذا هو حيثيات حكم الموت الذي نفذته فيك . . تسخرين مني لأن دمعتين تترقرقان داخل مقلتي عيني . . أعذريني

فأنا أحبهما .. وأحبس معهما تعاستي .. سأبتسم لك .. كما كنت تطلبين مني دائماً عندما كنا نعدو سوياً في شوارع الجزيرة .. كل ما أريده أن لا أرى بصمة شقاء ترسم خطوطها على وجهك الهادىء الجميل . تقولين بعدنا عن الموضوع .. صدقت ، ولكن الحيرة تحيطني بخيوطها العنكبوتية من أين أبدأ ؟ ؟ أنا أعرف النهاية .. نهاية المطاف .. ولكن صعب علي أن أكتشف بحواسي الشاردة بداية الطريق المتعرج . باختصار .. حتى لا تملي .. وحتى تقدري موقفي .. سأبدأ بنفسي وأنا طفل صغير ينهل الحب والحنان من ثدي أمه

تعالي يا قطة أمها .. كلي يا قطة أمها .. ألعبي يا قطة أمها .. لا أنام إلا من خلال هدهدتها وقصصها التي لا ينضب معينها عن الملاك الجميل .. والغول المتوحش الذي يبتسم لوردة حمراء .. وحامل نيشان الوزير الذي أصبح ملكاً . والأمير والحصان البري الذي كان يطير به فوق السحاب .. ومارد القمقم وأغنيتها نام يا حبيبي نام .. جه الملاك جنبك وقال نام يا حبيبي نام » .. ولا استيقظ إلا على بسمتها الحنون وتغني وتغني .. وأنا أستقبل الأحلام الوردية .. أفراح وأولاد يلعبون في الجرن الشرقي .. وزغاريد .. ودفوف وأزهار .. وشوارع تمتلىء بالزينات .. والمهلبية في العيد والمراجيح وفي صباح ذلك اليوم الذي مازلت أذكره إستيقظت ولكنني لم أبصر وجهها .. وإنما سمعت بكاء ونحيباً .. قالوا لي .. لقد ماتت .. ماتت ؟ ! كيف ؟ وعدوت إلى الحجرة التي ترقد فيها أرغب رؤيتها .. لا أصدقهم .. كاذبون .

ولكنهم منعوها عنى .. لم أفهم يومها ما هو الموت .. وعاتبت صانعه لماذا يسرق منى بهجة حياتى .. ولم أعد أرى بعد ذلك اليوم رونق العيد فى أحلامى أراه عارياً من بهجته خالياً من زينته .. ليالى طويلة مرت على .. وهى تأتى إلى بيسمتها الحنون ويديها الحانيتين .. تحتضننى .. لم أكن وقتها أفرق بين الأحلام والحقيقة، ولكننى كنت أصدم كل صباح وأنا لا أرى وجهها .. والإجابة على أسئلتى أسمعها داخل كلمات غش وخداع .. إلى أن عرفت أنهم أودعوها القبور .. وصعدت إلى السطح لأشكو للسماء أناتى وخلجات نفسى .. فقد قالوا لى أن صانع الموت يسكن هناك فى السماء السابعة .. صعدت لأدعوه أن يعيدها إلى .. ولكن لا جدوى من صرخاتى المنداة بالدموع .. فقد بدأت ليالى الشتاء تزحف ويرد الصقيع يتراكم بعد أن تزوج أبى من تلك المرأة بابة العوطف .. وقسا على .. إلى أن ضربنى عن ذنب لم أرتكبه .. لم أفعله .. وطلب منى وعداً أن أمتنع عن إتيانه .. ولكننى رفضت .. فازدادت قسوة يديه على جسدى ووجهى حتى أدمى فمى .. وطاردنى .. فصعدت إلى سطح البيت .. أغطى جسدى بقطعة من لحاف ممزق ومن يومها وداخلى أصبح كالثلج وأنا أبحث عن تلك الأم فى صورة أية امرأة .. تهبنى لمسة دفء من قلبها .. شعاع من شمس حنانها .. تذيب به ثلج السنين المتراكم ولم أجدها طاردته الأيام منى لا فى سرير المومسات ، ولا فى زوجات الآخرين ، ولا فى أية فتاة قابلتها . لحظات جنس مبتورة .. تنتهى دائماً بالصقيع .. على جنبات نفسى .. كل ماقابلته هو الوهم .. الوهم .

وفى ليلة تطهرت نفسى .. ونمت نوماً عميقاً .. وإذ بى أرى طيفها ..
لقد جاءت إلى تحتضننى .. ترفرف على بجناحى الحنان والعطف ..
خلت أنى أمسكتها بين يدى ولكن ما إن أضأت النور حتى تملكنى
شعور بالوحدة والضياع .. شعاع نور الأباجورة لا يغير ما بداخلى من
ظلام .. صور مشوشة غريبة .. إن ما رأيته فى أحلامى كانت أمى ..
ولكن فى صورة أخــرى شابة .. أكثر رونقاً .. أكثر جمالا ..
عروس تخطر فى ثوب عرسها الأبيض الناصع .. تمسك بيدى لنجرى
سوياً فى الحدائق .. نعبر جداول المياه الرقراقة .. لنجلس عـلى
العشب الأخضر .. لم أعد الطفل الصغير الذى تحتضنه .. صور
مهزوزة .. متلاحقة .. كنا أشبه بفراشــتين داخل غلالة شبورة
الصباح .. لنصبح عصفورين على فروع الأشجار ثم جوادين نعبر
السدود والأنهار .. نطير لا نقف .. تحملنا الريح داخل الأفق
البعيد .. لا تصدقين !! حقيقة والله هذا ما رأيت .. وفى اليوم التالى
رأيتها من جديد .. لا تقص لى حكاياتها ولا تغنى لى أغنيتها ولكنها
قالت لى كلمات قليلة : « أنا أمك .. وما زلت أعيش » واختفت
كأنها ومضة برق وهى تضحك لسؤالى . أنت صغيرة فكيف تكونين
أمى ..

واستيقظت لم أضىء النور فقد تركته مضاء منذ حل الظلام .. وعدوت
إلى الشارع الساعة الثالثة صــباحا .. أجرى .. أهرب ..
أبحث عن الحقيقة من خلال نفسى الحائرة .. وطيفها الذى يتعقبه

مخيلتي .. إنها لا تشبه أمي .. ولكنها تصر على ذلك وهي تهمس لي « أنا أمك .. أنا أمك » ومضت ليالي خلت أنها خاصمتني .. وقدمت لأنني لم أصدقها منذ بدأت أشعر أن بعضاً من الثلج يذوب داخلي ولكنها ظلت على خصامي إلى أن رأيتها من جديد تمور على .. بردائها الأبيض الناصع .. ووشاحها .. وأنا طائر كما ولدتني أمي .. تأخذني معها .. وتعدو بي في الطرقات تسحبني من يدي وأنا أسير وراءها بلا إرادة .. بلا وعي .. حتى إذا ما وصلنا نهر صغير .. عبرناه بقارب فضي إلى جزيرة صغيرة .. تلهت فيها بعض الأعشاب البرية .. وأشجار الجوز والسرو .. وسرت خلفها .. قوة خفيـــة لا أدري كنهها تسحبني إليها .. لا أدري إلى أين .. الطريق طويل متعرج تحده قمم جبال ترتدي ثوباً تداخلت خضرة زرعه وبياض الميه في لوحة رائعة ، وبحيرة في الجانب الآخر زرقاء متوحشة ترقد على حوافها أشجار متماثلـــة ، إلى أن أطلت علينا بعض البيوت المتراصة وتابعنا سيرنا داخل طرقات البلدة .. وواجهنا بيتها ودلفنا داخله .. وفي إحدى حجراته فوجئت بها تعري نفسها تماماً مثلي .. وتهمس لي « إلى أحضاني .. يا إبني .. أنا أمك » هربت .. وعدوت في نفس الطريق .. وراعني بعض تلك الوجوه التي ألفتها في طفولتي وهي تتعقبني بنظراتها تشير علي وأنا عاريا أحاول أن أداري عورتي .. ولكن يدي ثقيلة .. خطواتي أثقل من إرادتي العاجزة كمن يسير في بحر من الصمغ .. أهث والوجوه تحيطني بنظراتها الدهشة .. وابتساماتها المتسائلة .. الساخرة .. وأبي وعصاته وزوجته اليابسة وهي

تنظر إلى بشغف .. وسعدية الخادمة المراهقة التى إستيقظت على قبلا تها النهمة ولمسات أناملها على جسدى .. وكريمة بنت الجيران عندما كنت ألعب معها عريس وعروسة وأعريها .. نحاول أن نمثل الدور الذى رأينا أخاها زكريا يفعله مع عروسه من خصاص الباب .. والشيخ دعبس مؤذن الجامع عندما رأيته فى خص حقلنا وهو يعرى أم الحنا يتحسس بخصره على جسدها .. كل هؤلاء أموات الآن .. فماذا ذكرنى بهم .. وعدت .. ولكن ما زالت خطواتى ثقيلة إلى ان قذفت بنفسى إلى النهر .

واستيقظت خاليا .. مهيضا .. لا يمكن أن أكون مجنونا .. إلا أنه تملكنى شـــعور بالفضول .. كنت فى حيرة .. لم أعد بعد تلك اللحظة أفرق بين الأحلام والحقيقة . وقررت أن أعزل من الشقة بعد أن حذرونى من ساكنها عفريت الجان إلا أنها طافت بى من جديد وهى تعاتبنى لأننى أحاول هجرها ونسيانها .. وضمتنى إليها ضمة خفيفة أرحت حلالها رأسى على صدرها .. لأشـــعر بحنانها يتدفق يذيب ثلج السنين ، ثم صحبتنى إلى نفس القارب الفضى لعبر به النهر ثم إلى بيتها .. وهربت من جديد وهى تعرى نفسها لى ..

وتعجبت عندما تفتحت عينى فقد كان كل شىء منقوشا داخل ذاكرتى .. أعى كل صغيرة وكبيرة .. وكل تفصيل .. رقم البيت من لافتة نحاسية صغيرة علقت على أحد جدرانه الخارجية .. إسم البلده من لافتة مرور صفراء يتوسطها سهم أحمر .. عنوان الشارع من لافتة خشبية باهتة خطت حروفها الهجية بفرشاة بدائية ..



وفى الساعة الثالثة صباحاً كنت أحرر رسالة لفتاة أحلامى .. واستمعت متأخراً حتى تصرفى الطبيعى لى .. وأنا أضع الرسالة فى صندوق البريد ومنذ هذه اللحظة لم تعد تعاودنى فى أحلامى .. كنت أشفق على نفسى وأنا أشعر بالحاجة إليها وإلى ضمة صدرها الحانية .. قلت ما حدث لم يكن سوى أحلام .. ومتى تكون الأحلام حقيقة ؟!

وتملكنى الضيق عندما أتذكر الرسالة التى كتبتها .. ما كان يجب على أن أجرى وراء تهيؤاتى وخيالات أحلامى لأضعها فى واقع .. فى رسالة أخطها إليها .. وندمت على تصرفى هذا .. ولكن فوجئت عند عودتى من عملى بالبواب يسلمنى رسالة .. أسرعت لأفضها وكاد يغمى على وأنا أقرأ سطور الرسالة .. إنه توجد فعلا فتاة .. وهذه رسالتها وهذا خطها ؟! ليس صحيحاً ما أقرأ .. لابد وأنها مصادفة ، ما هذا اللغز المحير كان حلما ولكنه الآن حقيقة .. إن فى الأمر ما يريب .. وأرسلت إليها من جديد أطلب صورتها كصديق .. وذهلت وأنا أرى الصورة .. أمعن فى قسمات وجهها .. نفس الصورة التى طافت بخيالى .. التى داعبتنى فى أحلامى .. بل أكثر من هذا إنها تدعونى لزيارتها فى بلدتها .. وانتهزت فرصة تواجدى بالخارج فى مهمة علمية .. وقمت بالذهاب إلى بلدتها .. عجباً ما أرى فبعد أن تركت القطار ومرافقى يسألنى عن وسيلة المواصلات التى أفضلها .. وركبت القارب نفس القارب الذى كان يقلنا .. أنا وهى .. نفس الطريق الذى عدونا فيه سويا .. شجر الجوز والأعشاب والزهور البرية .. أشجار الأناناس والسرو

والبحيرة المترجرجة .. والجبال البدائية وأفقت من ذهولي إلى ذهول آخر، أنا أخطو في شوارع البلدة .. نفس الشارع الذي سرت فيه .. وصدمت وأنا أرى نفس الوجوه المألوفة التي كانت تتعقبني بنظراتها .. أبي وزوجته، وسعدية، وكريمة والشيخ دعبس، وأم الهنا .. كل هذه وجوه لأموات رأيتها في أحلامي .. نفس نظراتهم المتسائلة الباسمة وإشاراتهم المبهمة نحوي وأنا أسأل مرافقي عنهم .. فيجيبني بأنهم يحيونك فأنت أول رجل غريب يحط رحاله على بلدتهم منذ زمن بعيد .. وتملكتني حيرة غريبة .. هل أنا في بلد أموات أحياء .. وفاجأت مضيفي وهزتني صدمة مخيفة أخرى وأنا أرى البيت بجدرانه البيضاء الناصعة وحبيبتي تسرع لاستقبالي ببسمتها الحنون .. الودود بخدودها المتوردة .. بعواطفها الدافئة .. أحسست أن ثلج السنين يذوب داخلي وهي تأخذني بين أحضانها .. تقبلني .. شيء غريب يجمعنا معنويا .. وبكيت دموعي الحبيسة ما هي إلا ذوب الثلج الذي تراكم داخلي سنين طويلة مضت ..

واستقبلتني مفاجأة جرأت مثيرة إن عمرها خمس وعشرون عاما وأربعة شهور وسبعة ايام ولدت في ٣٠ مايو سنة ١٩٤٦ الساعة السادسة صباحاً .. نفس العام واليوم والساعة التي ماتت فيها أمي .. تعجبت كيف لمثل هذا التوافق الغريب .. أحببتها ولكنها لا تفهم أعلم أين هي الحقيقة ولكنها لا تدري شيئا منها لا أستطيع الحياة بدونها .. ولكن كيف أعيش بجوارها .. وعرضت عليها الزواج فوافقت وعدنا إلى القاهرة .. عروسين أنا .. وأمي ودهشت عندما جمعتنا

سويا حجرة نوم واحدة .. خلعت لى كل ملابسها .. ما أجملها بهذا القوام .. تحفة جميلة متحركة .. بصيص من الجنس يحتوى نفسى الشاردة .. إنها زوجتى .. ولكنها أمى كيف أعاشر أمى .. ليست العبرة بجسدها ولكن بالروح داخله . ورجوتها أن ترتدى ملابسها .. وسألتنى ليلتها :

— إذن فكيف يكون الزواج فى شريعتكم ..

وهجرتها إلى حجرة أخرى .. فاتهمتنى فى رجولتى لم تفهم ما وراء ذلك النحس الذى ركبنى وعندما قلت لها . إننى إبنك .. وأنت أمى ... إتهمتنى هذه المرة بالجنون .. فكيف لأم أن تنجب إبنا أكبر منها بسبع سنوات .. ثم وكيف ولدت ولم يمسسها أحد إن قصة مريم لا تتكرر .. وزادت حيرتها .. وزاد شكها فى .. هى لا تفهم وأنا حائر لا أدرى ما أفعله .

. أنا أعرف أنك لا تصدقين روايتى .. ولكن الفتاة كانت أنت .. أنت يا سالومى .. يازوجتى .. يا أمى .. أنت لا تصدقين ؟!! .. إذن فكيف تعللين كل ما قلته لك .. كنت لا أود فراقك .. ولكنك صممت أن تهجرينى وترحلى فلم يكن أمامى وسيلة لابقائك بجانبى إلا أن أثبت لك رجولتى .. فسبحت وإياك فى بحر من الجنس . إستيقظت على أثره .. ليتملكنى ندم شديد .. أننى شوهت صورتك الجميلة التى أحدثها الآن .. حفرت عليها وشما أسود .. وعاد إلى الصقيع من جديد فقتلتك ليعود إلى الصورة نقاءها من ذلك "وشم من الندم الذى يؤرقنى تحت عجلاته اجاده . . كنت آمل

أن يظل الدفء سارياً داخلي .. ولكني لم أجد من جديد سوى الصقيع .. هل عرفت الآن سر الحياة .. هل وجدت إجابة للسؤال الذي يراودك .. لا لم تجدى .. إذن فلم يعد أمامي من وسيلة إلا أن أتقابل وإياك من جديد .. في مكان آخر .. في وقت آخر ..

* * *



فكري الجحش



يا عالم .. يا هوه .. أنا لست جحشا .
صدقونى . لست جحشا .. إنه لقب التصق بى ، ورثته .. تركه مثقلة بالديون ليس لى يد فى إختياره .. فالمولود ليست له إرادة لا فى إختيار نوعه أو إسمه أو دينه .

كانت هذه صيحتى أشبع بها ضوضاء الطريق .. علنى أجد أحداً يسمعنى وأنا أسير خطواتى خارج باب الشركة التى كنت أعمل بها منذ دقائق .. أحتوى جيبى بنطلونى بيدى الخاليتين أحتوى معهما خيبة الأمل والمرارة . يا ناس يا عالم يا هوه .. أنا لست جحشا .. صدقونى .. لست كذلك !! المرارة تبلعنى داخلها كالشارع العريض وأنا أسأل نفسى الى أين .. والجحش الملصق بى يتعقبنى بخطواته ؟ كل خطوة أخطوها يخطوها معى .. يناقشنى .. أهرب منه يحاورنى أدافع عن نفسى .. يلزنى بعرفقى الغيظ والضيق .. فأبعد عنه .. خطواتى رتيبة بله .. متكاسلة مترددة أمشى قليلا .. ثم أعاود سيرى أعبر الطريق لأعود من جديد لنقطة البداية .. أفكارى فى ولادة عسرة . نفضت بطانة جيب بنطلونى الممزق .. وهززتها فتطوح فى الهواء قرش ألومنيوم لم أره إلا على أسفلت الأرض السوداء يتدحرج دحرجات خفيفة متعرجة حتى استقر فى مكان بعيد ، فانحنيت والتقطته ودفعته إلى أعلى فى الهواء وتعقبته عيناى فى رحلته القصيرة قبل أن يستقر فى طريق عودته إلى راحة يدى ليرقد فى هدوء داخل الجيب المذعور .

وابتسمت .. إبتسامة غيظ من الجحش الملصق بى الذى مازال

يحاورني ويداورني . ياناس أنا لست جحشاً ليس المهم الشكل .. لون الوعاء إنما ما بداخل الوعاء .. المضمون .. وعدت بذاكرتي إلى الوراء قليلاً عندما توقفت بقامتي الممدودة أمام موظف المستخدمين وهو يسألني أول يوم أتسلم فيها وظيفتي بشركة النيل العامة للسياحة .. ينظر إلى نظرات متسائلة دهشة وهو يقلب أمامه بإهمال أوراق ملفي تكملة لسؤاله . . . أنت الموظف الجديد ، فأجبته بهدوء مصطنع وكل أمنيتي أن لا يقع نظره على الوصمة :

— فكري سلام يا سعادة البيه .

مضغت الوصمة .. بلعتها وهو يطوي صفحات الملف من جديد .. ويطوي قلبي مع كل صفحة ليرتفع نبضه .. وليتصبب العرق وهو يردد بسمته المتحقرة بنظرته تخترق .. تحرق داخلي يكمل ما تعمدت نسيانه بسخرية شديدة يتوكأ بلسانه على الكلمات بتؤدة .. ويضغط على حروفها بهدة :

— آه . . فكري سلام .. الجحش . .

لسعتني كلمته .. ونظرات الموظفين تكة حتى . . أغمضت عيني كأنما أغمضها عن الحقيقة وأنا أتخير كرسيا أجلس عليه .. وصوبت إلى النظرات المحمومة بحب الاستطلاع وإنسابت الضحكات المكتومة لتلتق برعشات جسده وفمه الشايخ ينفرج عن ضحكة عاليه وقد بانت من تحت شفتيه أسنان مسوسة عفنة أكل بياضها أسوداد أصفر . . دعاية فاشلة لمعجون أسنان كسد .

تذكرت لحظتها أول يوم أخطو فيه إلى المدرسة ببنطلونى القصير وجورب الذى يغطى ركبتى وقد شد بأستك. تذكرت والمدرس ينادى على التلاميذ بصوته المكفهر النبرات ثم وهو ينادى أسمى « فكرى سلام » .. رفعت أصبعى .. لم يعرنى اهتماما .. تلكأ .. تمعن فى الإسم .. خفتت نبرات صوته الدهشة المتسائلة تمطت .. وهو يردد « الجحش .. الجحش » ؟؟ ثم صعد بها من جديد سلمها ليصرخ « فكرى سلام الجحش » إنزويت .. وانزوى معى إصبعى داخل فى أقضم أظافرى وضحكات التلاميذ تلهث .. لا تفترق عن هذه الضحكات التى أسمعها الآن إلا فى براءتها ..

تذكرت يوما وهو يكلل بداى المرتجفتين بعصاته .. وعدت إلى والدى إبن الجحش أشكيه أنانى وخلجاتى الطفولية فاحتضننى وهو يقول لى « أنيت لهم أن سليل الجحش مهر أصيل » .

لم أفهم يومها ماذا يقصد، ولكنى بكيت وعدوت فى دراستى جواد جامح حتى حصلت على بكالوريوس التجارة .. وكرهت الشهادة لأنها تحمل لقب الجحش. وصمة عار . وأية وصمة !! وإذا بصوت رئيس المستخدمين ينشلنى بعد أن إحتسيت فنجان القهوة وهو يقول بلهجة آمرة وأنا أقف متردداً خائفاً وجلا ونظرات الموظفين تودعنى بسخرية وشماته وشفقة :

— ستقابل مدير الشركة الآن .

وخطوت وراء رئيس المستخدمين إلى حجرة المدير .. ترددت

أمام بابها . . وأشارة يده المتحفزة تشجعني لأدلف اليها . . لا أدري أين أقف هل أتقدم . . هل أتراجع . . تائها . . وإذا بصوت المدير يصعد إلى أذني داخل موجات أثيرية تأففية تساؤلية غريبة وهو ينظر إلى بازدراء وتعالى ثم إلى رئيس المستخدمين من خلال صفحات ملفي :

— جحش . . ماذا حدث يا أستاذ مسعود تعين جحش في العلاقات العامة . . إنتم إتجننتم .

فأجابه بصوت خفيض :

— أوامرك يا سعادة البيه .

وإذا بي أقول في أدب جم :

— اللقب فقط يا سعادة البيه

فأجابني في تساؤل :

— وكيف أعرف ؟

— كما ترى فأنا لا أسير على أربع . . ولا أنهق في حضرة سعادتكم . إرتمى بكرسيه الهزاز إلى الوراء . . وتأرجح جسده كأنما صدته صعقة كهرباء . . وضحك . . وطالت ضحكته وضحك بالتالي كليه الأمين . . ثم فاجأني بقوله بعد أن أخذ وجهه سمات الجد الحذر :

— هذا ما يضايقني .

— كيف ؟



— ألم تسمع عندما نثنى على الموظف المجتهد فنقول عنه أنه حمار شغل .

— نعم يا سعادة البيه .

ومرت فترة صمت قصيرة قبل أن يستطرد قائلا :

— هذا ما أريده .. وأخشى أن لا تكون إسماً على مسمى

فهمس له رئيس المستخدمين :

— تماما يا سعادة البيه حتى يصبح حمار .. قصدى حمار شغل .

وابتسم المدير .. واضطجع بكرسيه إلى الوراء قليلا وسحب سيجاره من علبته السوبر أشعلها له رئيس المستخدمين . ثم تصفح وجهى وكلماته تسطر داخلى تساؤلات كثيرة وهو يؤشر على مسوغات تعيينى :

— عينه فى إدارة السجلات مع شمروخ أفندى .

فأجابه رئيس المستخدمين بتأييد غامر مصطنع :

— نعم الرأى ياسعادة البيه . شمروخ مع الجحش نتيجة باهرة .

ونظر إلى من جديد يستطلع بعينى عينيه قسمات وجهى التى انفرجت عن ابتسامة باهتة يائسة ذابت داخل كلماته وهو يهمس لى . لولاى ، فأجبته على الفور بسرعة خاطر . « أكثر الله من أمثالك يا سعادة البيه » . وصوته من جديد وهو يلتفت نحوى وأنا أقتفى أثره فى الردهة :

— المهم أن تكون موظفاً مجتهداً .

— سأكون عند حسن ظنكم جميعاً ..

وتبعت الساعى إلى حجرة بالبدروم .. راعتنى تلك الملفات باغلفتها المتآكلة .. بأوراقها المبعثرة .. والأدهى من ذلك شمروخ بمكتبه النوحى الذى يجلس وراءه .. وقد كسته طبقة من القاذورات المتراكمة ظهرت خلالها دوائر متشابكة .. آثار أكواب الشاى والقهوة .. بوجهه القمىء المليء بأخاديد الشيخوخة بجسده النحيل الضامر .. بزجاج نظارته السميك القاتم .. وتلقفنى عم عصاية هذا ببرود شديد !! والساعى يبتسم وهو يغادر الحجرة ، لا أعلم أهى إبتسامة رثاء أم شفقة أم سخرية . وكلماته التى نطق بها منذ لحظات تثير حنقى « الأستاذ جحش » لم يبتسم عم شمروخ .. لم يضحك .. إنما استقامت قامته المديدة .. وسمعت طرقعة عظام ركبتيه وأعقب ذلك قوله لى « الرطوبة .. أنظر .. » وأشار بأصبع يده الممدودة أسفل الحائط المندى بالبلل . أنه موميتاء لا يفترق فى شىء عن المكتب البائس وحدته .. عن الحائط المندى بقطرات المياه المالحة .. عن الدوسيهات وأوراقها المبعثرة عن الفئران وهى ترتع داخل الشانونات وهو ينصت برضاء لصوت حركتها الدؤوب وأضاف قائلا :

ــ هذه حياتك هنا ! .

وتمطى من جديد ليجلس بعد أن صافحنى وأجلسنى بجواره على كرسى من ثلاث أرجل وكومة من السجلات المهملة ثم بادرنى بقوله :

ــ تضايقت من الساعى ؟ ؟

ــ أبداً فالإنسان لا يزعجه لقبه .



— كلنا فى الهوا سوا ..
— الصمت خير من الغضب المتكلم .
— ولكنه قصد أن يحرجك .
— تجارة الجحوش فى ذلك كانت رائجة تماماً مثل تجارة السيارات الآن .. فلماذا يخجل منها الإنسان .
— صدقت فالسيارة ماهى إلا صنف جيد من الحمير الحديد يمتطى ويسير على أربع . قالها بسخرية .. أعقبها بابتسامة خبيثة أشد سخرية من إبتسامة الساعى .
قلت وأنا أباصيه فى السخرية والابتسام :
— وكذا الشمروخ .. صاروخ صامت
— ولكن الشمروخ قصه
— أود سماعها
— ستملى بعد لحظات
— ومن أهراك
— قد لا تصدقى
— قلها وتوكل
— كان لجدى شمروخ سحرى .. إستطاع أن يتغلب به على خصومه وأن يدخل الذعر فى قلوبهم .. حتى سرق منه فحزن عليه حزنا شديدا ومات من الصدمة .
— سحر ما تقول !!
— أكثر من هذا فقد كان ينزله فى بيته أحسن منزله ، وأفرد له مكانا

بجواره .. يدهنه بزيت الكافور والعطور .. يبخره من الحسد بأرقى أنواع البخور الهندية .. يحدثه أثناء الليل .. يشكى له همومه ، ويشحذ همته عندما يكون على موعد معركة فى الصباح .

ــ كلام فارغ .. أتريدنى أن أصدق خرافات وخزعبلات .

ــ إذاً فلماذا تصدقون حكاية عصا موسى .

قالها بحدة

ــ إنه نبى مرسل

ــ ولكن المعجزة كانت معجزة العصا .. هى التى شق بها البحر .. وهى التى تحولت إلى حية تلتهم كل حيات السحرة .

ــ المعجزة فى النبوة وليست فى قطعة من الخشب الميت .

ــ إذن فلماذا العصا التى شق بها البحر .. لماذا لم يستعن موسى بيده مثلا .. بساقه .. بعينه .. بكلمته لتحقيق ما يرغب .

ــ إنها أسرار علوية .. ليس علينا إلا أن نصدقها دون أن نناقشها .

ــ وهكذا كانت عصا جدى ..

ــ ولكن جدك لم يكن نبياً .

ــ الأنبياء نوعان ..

ــ ماذا تقصد ؟

ــ نوع لا يبوح بهويته وتبقى دعوته سرا حبيسة نفسه .. ونوع يجهر بها .

ــ وجدك .. من النوع الأول ؟

ــ لقد فهمتنى خطأ .. لقد أردت أن أوضح لك أن ما لا تصدقه

يمكن حدوثه . . وعموما فلا غرابة فى نبوة جدى .

— لقد انتهى زمن المعجزات منذ مئات السنين .

— أبداً لم ينته بل كثر الأنبياء الذين لا يعلنون عن هويتهم .

— إنى أمام حديثك قطة مغمضة .

— منجزات العلم التى تتحقق الآن . . لو واجهت بها رجل محمد أو عيسى أو موسى لخر ساجدا . . مثله فى ذلك مثل إنسان القبائل البدائية فى إفريقيا الذى عبد الرحالة لأنه كان يحمل معه راديو يعكل وبدلا من أن يقتل نصب حاكما ثم إلها .

— إذن فالأنبياء كثيرون . .

— بعدد شعر رأسك . .

— ومنهم جدك .

— لو أرجعنا عقارب الزمن لعصور الأنبياء وجهر مثل هؤلاء الصامتون بدعوتهم لأصبح فى العالم عشرات بل مئات الأديان السماوية .

— تقصد أنه من خلال العجول . . كانت أية دعوة بلدرتها

— بدأت تفهم مرادى . .

— معنى ذلك أن العلم والمعرفة بيئة غير صالحة لنشر دعاوى الأنبياء الجدد . .

— صح . . وإلا أصبح من يتنبأ بالغيب وتصدق نبوءته ومن له كرامات ومن يضع يده تحت عجلات السيارة أو يصحبها نبياً . .

او ظهر هؤلاء فى عصور الجهل وتبنوا من خلالها دعوة لالتف حولها المريدون .. ولأصبح لكل منهم دينا جديدا ونبى وإله وكتاب سماوى .

— إنك تهدم كل شىء .. فالأديان السماوية المتعارف عليها يعتنقها الآن إنسان العالم المتحضر .

— بدأت تلج نافذة المعرفة من ، خرم ، إبرة فالأديان ميراث لا بد للإنسان فى إعتناقها .

— إنك تشككنى فى نفسى .

— بداية الحقيقة الشك .

— كل هذا لأننى لا أصدق حكاية الشمروخ .

— الشمروخ .. وصاحبه .

— أكمل .. وأمرى لله .

— معذرة .. فذاكرتى تخوننى .. إلى أين وصلنا فى حديثنا ؟

— عندما كان جدك يشحذ همته !!

— آه .. كان جدى يشحذ همته عندما يكون على موعد معركة فى الصباح .. وعندما يلتقى وخصومه كانوا يتساقطون أمامه كأوراق الخريف من ضرباته ومن الخوف الذى يسيطر على نفوسهم . يعود بعدها إلى بيته يلثم شمروخه .. إلى أن إجتمع أعيان البلدة وقرروا تنصيبه عمدة عليهم .

— من .. الشمروخ ؟!



— بل جدى الذى أحيل بعد ذلك على الاستيداع من المعدية بعد أن سرق منه الشمروخ .

— ياخسارة .. تنفع حدودة سينما .

— إن بداخلك مقومات النبوة .. فذلك ماحدث فعلا .. فبعد ما أشيع حول الشمروخ وحكاياته السحرية تقاطر مندوبو وكالات الانباء العالميـــة .. والصحافة والسينما . وبدأوا يصورون الشمروخ من زوايا وأوضاع متعددة وأوقات مختلفة وهو عار .. وهو بثياب نومه وهو ينـــام فى سريره الفضى تحت بطانيته ولحافه .. وجدى يحدثه ويشحذ همته .. ويدهنه بالمسك والكافور .. بل أكثر من هذا حضر نائب الدائرة واستعان به فى دعايته الانتخابية ونجح نجاحاً ساحقا .. وتلاه رئيس الوزراء .. بل لقد وقف أحد أعضاء البرلمان مناديا بأن يرسل الشمروخ وجدى إلى الحرب الدائرة فى فلسطين . لينقذ الجيش المصرى المحاصر ..

— إنك تشوقنى .. بعد أن أصبح الشمروخ أحد أعمدة السياسة .

— ومع كل هذا فقد رفض كل الاغراءات وبقى جدى وشمروخه يعيشان فى البلدة إلى أن سرقه منه أحد أفراد عصابة إلمانيا واستطاع أن يحقق به ما رفضه جدى من سلطة وجاه ومال .

— فات على جدك أن يقتطع فرعا آخر من الشجرة .. ليصنع واحدا

مثله ..

— لقد ذبلت شجرته بعد أن تحول الشمروخ من نصرة المظلومين لنصرة الظالمين .. ماتت زوج الخير في الشجرة .. ماتت الأم عندما وجدت أحد أبنائها في يد شريرة تقهر به العدالة . وسكت قليلا ثم استطرد قائلا :

— بدأت تمل حديثي .

— ماذا وراء الموظف سوى سماع الحكايات وأكل السندويتشات .

ومرت فترة صمت قصيرة .. أحاول فيهــا أن أجمع شتات فكري .. وأن أقيم هذا الإنسان الذي سأعمل تحت رئاسته إلى أن سألني من جديد :

— العمل هنا صعب وكثير .. ماذا جاء بك إلى هذا المرج ؟

قلت :

— ما هو أهم من المرج .. لقمة العيش .

قال :

— ستتعاون ثلاثتنا بإذن الله .

نظرت حولي فور سماع تلك الكلمة .. أبحث عن ثالثتنا وعادت عيني من دورتها داخل الحجرة تصب تساؤلها على وجهه الكريه وهو يبتسم ويستطرد قائلا :

— هل ترى هذا المكتب الصغير الذي يحتل الركن القصي في الحجرة ..



كيف فات على أن أراه . . ليس مكتبا بل ترابيزة مطبخ صغيرة أو كرسى حمام بأرجل مرتفعة . . واستكمل حديثه قائلا :

— إنه مكتب سناء زميلتك فى الأرشيف .

وسكت قليلا ثم استطرد قائلا :

— أعرف ماذا تود سؤاله . . إنها فى إجازتها السنوية .

قلت مبتسماً إثارى خجلى فقد استطاع أن يكتشف خبيئة نفسى :

— أنت الآخر بك مقومات النبوة . .

* * *

وبدأت عملى بالأرشيف . . الأيام تعدو وأنا أعدو أمامها فى تنظيم الأرشيف . . أبحث عن نفسى من خلال أغلفة الملفات الحالكة . من خلال ذرات التراب . . من بين براثن رطوبة الجدران . . من خلال حروف سناء المنمنمة الثابتة على دفتر الصادر والوارد . . لأجدها مبعثرة . . أسأل نفسى ماذنبى فى لقبى أن أختزن داخل تلك الحجرة المظلمة . . أسمع فوق سقفها كعروب دبيب الأحذية الحريمى غادية رائحة تسكب علينا أتربة السطح الحالك . . آه لو استطعت أن أفتح ثغرة أبصر من خلالها السيقان الطريه العارية وهى تتشاءب تحت المكاتب . . أو وهى تعدو على بلاط السقف . . سأرى عجباً . . وأى عجب . . أشياء لم أرها فى حياتى . . حية مجسمة . . فقط أبصرتها فى أفلام السينما عندما

يمري البطل المثالي . . في الأفلام المصرية تقول له «لا . . أعمل معروف» . .
أنا ما زلت بنت إذا كان ولا بد فعلى سنة الله ورسوله » وفى الأفلام
الأمريكى تخلع هى ملابسها قطعة . . قطعة . . ثم يقص الرقيب
ما يحدث بعد ذلك . . يكمل خيالى القصة وأنا أقف فى طريق عودتى
إلى البيت أمام فترينة فى الشارع تعرض ملابس المرأة الداخلية على
تمثال . . أقف لأتأمله وأتأمل نفسى وهى تكمل قصة الرقيب . . أنا
بطل القصة . . والتمثال أمامى إمرأة حية . . أسحبها من يدها بعد أن
خلعت عنها ملابسها . . وأســـأل نفسى ماذا أبدأ . . وعندما
أجدها فى النهاية عارية أمامى فى حجرة نوم وعلى سرير أسأل نفسى
وماهى الخطوة التالية . . وتصطدم يدى بحاجز زجاج الفترينة السميك
فأعود لواقعى من جديد . . ماذا لو كانت تلك التماثيل أجساد حية .
يجرى فى داخلها عروق الحياة ، والجنس ؟ ؟ لقد قرأت أنهم يعرضون
مثل هذه العينات الحية فى هامبورج بالمانيا فى فترينات بيوت المتعة
ليتخير منها الرجل كما يشاء . . آه لو كان معى ما يعيننى على السفر
لاستمتع برؤية أحداهن ولاسحبها من يدها لاهجم داخل جسدها
بجنون المتوتر . . شطحات . .

بدأت حياتى فى الأرشيف أبذل من إحلال حماسى قطرة قطرة . . فى تنظيم
الأرشيف . . فى إحلال نظام الكرت الأبجدى مكان الفوضى الخ . .
أنتظار بفارغ الصبر سناء . . أين أنت يا سناء ؟ ؟ ماذا أنت يا سناء
وأرسم بداخلى صورها من خلال أحاديث عم شروش . . وهو يلم
أمامى كل صباح بمحاضرة طويلة عن طائفة زكية . . وعظم مفاصلها

عن الرطوبة . . عن أيامه الخوالي . ومن خلال ذلك بدأ يحنو على . يشفق على ما أبذله من جهد مضنيه . . إلى أن شد بقبضته المعرقة على ذراعي كأنه يتحسس عضلاته وهو يقول لي :

— أنت قوى كالثور ! !

— الحمد لله

— لماذا لا تتزوج

فأجبته ساخراً

— بكره تتعدل

— سيضيع شبابك وسط الأتربة . . وستندم حيث لا ينفع الندم .

— هذا قدري

— أظنك لم تقرب النساء

— فقط في أحلامي وأمام الفترينات

— ولم تحب

— أحب وأنا لا أعرف إذا كان ثدي المرأة أمامها أو خلفها

— أنت لقطه .

دهشت وهو يقول لي :

— سيكتمل ثلاثتنا غداً إن شاء الله

يا مائة حلاوة . . كنت في طريقي أعثر . . أقفز لا أريد أن يفوتني روعة إستقبال سائر زملائي في المكتب . . ووصلت المكتب الساعة السابعة صباحاً . . بعد أن صففت شعري بجامبو إشتريته خصيصا لتلك

المناسبة السعيدة حانت دقتي جيداً . . إرتديت بنطلوني الكحلي والحذاء الجديد والشراب الأحمر بستال . . ولم أنس أن أشمر عن ساعدي أكمام قميصي لتظهر من خلاله سمات رجولتي . . وأن أجلس بحكم شهادتي العالية برزانة على مكتبي الهالك . . ومضت الدقائق رهيبة متكاملة وشرف عم شمروخ . . وإرتفعت نبضات قلبي وأنا أسمع طرطقة ، حذاء حريمي يهبط درجات البدروم مع كل طرقعة نبض لي يرتفع . . كنت أعد السلالم وأخيراً رأيتها . . وأخيراً بدأت أمتع عيني بالسيقان الناعمة الحقيقية وهي تتهادى ويدي تلثم يدها وبسمتي تذوب داخل ضحكتها وأنا أعدو لأحضر لها كرسياً . . وأطلب الساعي على عجل . . أسألها ، شاي . . كوكا كولا ؟ ؟ ، وصوتها يتماوج يتمايع لا داعي كوكا لو سمحت ، وضاعت جلسة الوقار التي رسمتها لنفسي . .

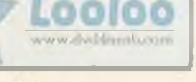
وبدأت الأيام تسير . . وأنا أسير وراء نظراتي اللاهثة عندما تمال وراء مكتبها وفخذاها عاريتان . عندما تنتصب بإمامتها لتمنع إحدى السكلاسيرات في مكانه المرتفع . . فيظهر من تحته الكيلوت الأحمر . بنارش جذبني المزوتر . . ويدها وهي تمسني عندما كنت أحادثها . . كل هذا وعم شمروخ يحاصرني بنظراته بحديثه . . بواعظه التي ملأتها إلى أن فاجأني بقوله :

— قلت لي أنك تبحث عن شقة .

— خير من حياة الضياع في لوكاندات ، البق ، بسكلوت بلك .

— الشقة عندي ! !

— تقول شقة ؟؟



— ما أقوله هو الصدق

— دعني أقبل يديك .

— أستغفر الله

— بالله عليك . . إخبرني عنها

— شقتي التي أقطن فيها

— وأنت ؟

— عثرت على أخرى تناسب مقامي .

— والخلو والمقدم .

— صاحب البيت رجل طيب دين لن تعدم وسيلة في إقناعه .

— متى أراها .

— اليوم إذا شئت

— الله يعمر بيتك . . ويوقف لك ولاد الحلال.

وفي الساعة والدقيقة والثانية كنت أضغط ليس بأصبعي ولكن بحواسي كلها على جرس الباب ، وأمنيات كثيرة ترفرف كعصافير الجنة حولي . . قريبا قد يكون أقرب مما أتصور . . سيكون لي مفتاح هذه الشقة سأمتلكها . . وسأتشاور مع سعدني والدي . . وأصبح من مستأجري الشقق المحترمين وسأتزوج . . وعدوت داخلها وعيناي تسبقاني إليها . . وعم شحروح بذقنه الحليق يستقبلني ببشاشة ويخبر يصعد من جديد على ساعدي . . بل يتحسسه وأنا أدلف إلى الصالون . . وما إن استقر بي

المقام قليلا حتى رأيتها .. فتاة لا تتجاوز الثامنة عشر كزهرة البانست تحمل على يديها صينية رصت عليها أكواب الشاى .. يتوارى نظرى خجلا من جمالها الفاضح .. أسحب باطراف أناملى كوب الشاى .. وارتشفه .. أضع فيه كل خجلى وقلقى وعم شعبان يطلب منها أن تجلس .. وإجابات كثيرة لاسئلته التى سبق أن سمعتها تحت عجلات محاولاتى الاجابة عنها وهو يسألنى :

ــ ما رأيك .

ثم وهو يستطرد بعد أن شعر بحيرتى وتلعثمى ثم صمتى :

ــ قصدى فى الشقة ؟

ــ جميلة جدا

وابتسمت سمسن كما كان يناديها وفاض وجهها عن جاذبية خضراء يانعة . وقد صففت شعرها بعناية .. وشذى رائحة صابون عطر تشنف أنفى . هذه إذن القصة المكرورة .. بنت رئيس العمل بضاعة معروضة للزواج على المرءوس وورد إلى ذهنى هذا الخاطر وعم شعبان يقول :

ــ الاستاذ فكرى الموظف الجديد عندى .. من أكفأ الموظفين .. وله مستقبل عظيم .. وصوته من جديد يشق به غياهب الصمت الذى حل فجأة :

ــ نسمة .. زوجتى ..

ضاعت كل الإجابات التى جهزها عقلى لاسئلتى الحائرة . ماذا



ليست إبنته .. إذا فليست القصة المعادة .. ذهلت وابتسامتها العريضة تشرق من جديد على شفتيها المكتنزتين وهي تنحنى أمامي لترص أكواب الشاى الفارغة على الصينية وقد بان ثدياها .. كل ثدييها من طرق صدر الفستان .. وتنهدت وهي ترميني بنظرة غريبة غمرت جسدى بإحساس وعش .. تمالكاً فى وضع المفرش البلاستيك على منضدة الصالون ثم تنتصب قامتها ليذوب جسدها الرشيق المتثنى خارج الحجرة ، ويقف عم شمروخ فجأة كمن لدغته أفعى ليغادر الحجرة لفترة قصيرة .. ويعود بعدها مسرعاً يضع بفمه الكلمات .. وقد بان من خلال قسمات وجهه معان كثيرة .. الاستهجان المصطنع .. التبلد .. الحيرة وهـــو يقول لي :

— عن إذنك يا أستاذ فكرى :

وانتصبت قامتى وأنا لا أدرى ما يحدث .. لا أعلم ماذا أفعل .. يستدير إلى فجأة كنمر متوحش يضع يده على كتفى .. يدفعنى برفق لمقعدى ويستطرد قائلا :

— انتظرنى .. لن أتأخر عليك ..

فسألته بقلق :

— هل حدث ما يسوء .

— أبداً .. إنها حاجة ماسة لدواء .

— دعنى أقوم بتلك المهمة .

— عيب يا أستاذ فكرى .. أنت ضيفنا .

— ولكن ..

فقاطعني ووجهه ينبسط عن إبتسامة غير محبوكة .

— يا راجل البيت بيتك . . لا داع للرسميات . وضاعت مني صيحة الدهشة وأنا أسمع صفقة باب الشقة . . وأسأل نفسي من جديد ماذا يحدث . لم هذا الاستعجال المصنوع . . ومرت لحظات سكون ثقيلة سحبت فيها سيجارة فرط من جيب جاكتتي أودعتها أناملي . . وإذا بي أراها من جديد تدلف كالفراشة للحجرة . . جسدها ملفوف بقميص نوم أحمر لم يخف ما وراءه . . ستار شفاف . . طاف بذاكرتي في ذلك الوقت تماثيل الفترينات . . وقبل الأحلام . . ومقص الرقيب . . والسقف المشروخ . . شلت المفاجأة إحساسي وهي تتقدم وتجلس أمامي . . وقد بدا كل شيء يتعرى الآن وقد انفرج عنها قميص النوم القصير . . ثدياها يناوشني . . صوتها بليونة وميوعة وهي تقدم لي قطعة شيكولاته من البمبونيرة بعد أن فضت غلافها . تفضل . لمسة أناملها ليدي المترددة الواجفة وهي تقدمها لي . . ثم صوتها من جديد وهي تقرأ البخت . حبك نار . شعرت بطوفان هائل يكتسحني وهي تضحك في ميوعة ومرت لحظات ثقيلة وضعت فيها قلقي وحيرتي في نظرتي الثابتة على أرض الحجرة وإذا بها تقول من جديد :

— رأيت الشقة ؟

— لا

— تحب ؟!

— سأنتظر عودته .

— إنه يعرف



ـ يعرف ؟ . . يعرف . . ماذا ؟

ـ كل شيء .

ـ أنا لا أفهم .

ـ قم معي . . أفرجك . .

وسحبتني من يدي . . من إرادتي المتساملة أمامي بشعرها ... ستنائي وقد إنسدل على كتفيها بتقاسيم جسدها المتفجرة داخل ... ته الرقيقة لا أدري إلا أنني أخطو وراءها . . لا أدري ماذا يحدث . . تبعتها إلى الصالة . . ثم لحجرة السفرة وبعد أن توقفت أمام حجرة النوم دفعت بابها وهي تقول لي :

ـ أليست جميلة .

ـ . . . . . آه . . طبعاً . . طبعاً .

ـ ستكون أروع لو إحتوى سريرها عروسان صغيران .

ـ . . . . . .

ـ لم ترد علي .

ـ أوناسيس تزوج جاكلين كيندي .

ـ ولكنه لا ينام معي في نفس الحجرة .

ـ كيف ؟

ـ ألم يخبرك .

ـ أبداً . .

ـ إنه صديقك .

ـ أحلف لك إنه لم يسر لي بشيء .

— إذن فلم حضرت ؟

— لأرى شقة المستقبل .

— فقط ؟

— لا أدرى ماذا تقصدين .

— إنك أكثر منه شباباً .

— ولكن عواطفه أكثر دفئاً .

— العواطف لا تشبع الجائع .. لا تروى الظامىء .

— لقد اخطأت الطريق .

— إنى جميلة وطاقة حية ماثلة .

— لا تنكر عين مبصرة ذلك الجمال .

— لقد أعجبتنى ..

— هكذا من أول نظرة .

— وضعت لك صوراً كثيرة قبل أن أراك .. ولكن الواقع كان أشرقها .

— سأهبك نصف عمرى لو أفهم ماذا يحدث ؟

— كنت شغوفة برؤيتك .

— ولكننا لم يسبق لنا التعارف .

— لقد سمعت عنك الكثير .

— ولكننى لم أسمع عنك شيئاً .

— لقد رأيتنى .. ألم أعجبك .



— نعم بالله .
— والنهاية .
— كالبداية .
— لا تتدلل كالنساء .
— ما يتملكني هو الخوف من باب مزاح .
— إنه يعرف .
— قلت منذ برهة أنه صديقي . . فكيف أخونه .
— صديقك وزوجي . .
— زمن أغبر . . إفصحي عما ينقصك .
— الكلام يمسح الرغبات
— ولكني أخشى ضميري
— الضمير كالإنسان يحتاج في أوقات كثيرة للنوم العميق .
— إن ضميري يخاف اللعب بالنار .
— مرة واحدة . . ان تقتله . .
— ولكنه سيصرخ من ألم النار . . وسيملأ الدنيا بكاءا وعويلا
— للرغبات ثمن .
— ولكنه ثمن غال قد لا يستطيعه إنسان مثلي مفلس من الشرور .
— اذن . . فانس ضميرك من خلال كأس أقدمه لك
— وماذا بعد أن يستيقظ
— أمر واقع . . وقليل من النـــدم لانك شربت الكأس التي أتممته بها .

— الضمير هو أجمل مافى الإنسان

— عندما يقف فى طريق تحقيق الرغبات يصبح اقبح ما فيه . .

— الرغبات متجدده . .

— ولحظة تحقيقها لا تعوض .

بدأت موجات الجهل تنحسر عن أفق عقلى وصوتها يتشالى من جديد بسخرية لاذعة وهى تغلق باب حجرة النوم .

— إسترح . . ولا تخشى شيئاً فان أغتصبك .

— تريدين إغتصاب ضميرى

— حتى تعيش حياتك . . يجب أن تطأه بقدميك .

— قدمى لا تستطيعان حملى . . فما بالك بوطء الضمير

— أنت تغالى . . ألا تسمع وجيب قلبى .

— إنها أنفاسك التى تهرس كل ما بداخلى .

— قبلنى ودعك من سخافاتك .

واقتربت منى . . وداعبتنى بصدرها الفتى المتوتر . . وتملكتنى رعشة إستسلام . . يديها تعانق رقبتى . . خصرها يلتصق بى . . ساقيها تمرح على ساقى . . قميص النوم يهرب من تحت يدى التلمس جسدا ناعماً . . طريا . . أنا لسـت ملاكا . . أنا إنسـان بداخلى كل الغرائز . . وتتخبط يداى على صدرها النافر . . على خصرها . وتتأوه وهى تقضم شفتى بأسنانها . . فمها المتوحش

يلتهم معه كل ما بقى لى من إرادة . أنا لست يوسفا حتى يتقه .. وخطر بذهنى خاطر سريع ماذا لو حضر عم شعروخ الآن .. خطر على هذا الخاطر .. وأذنى تلتقط خطوات ناعمة خارج باب الحجرة .. إنتفضت .. وفتحت الباب وعدوت خارجاً لا ألوى على شىء . وصوتها يصافى صرخة مكتومة ... صحيح جحش إبن جحش ..

* * *

وفى صباح اليوم التالى شعرت نفسى عن بقايا غضب ليلة الأمس وأنا أراه قابعا وراء مكتبه خاملا .. فاترا كعادته وسألته :

ــ لماذا فعلت ذلك ؟

أجابنى بنظرة يائسة من حدقتى عينيه .. الرجاء يغط داخلهما وأنا أنتظر إجابة لسؤالى وعاودت :

ــ كنت تعرف إذن ؟ !

صمت .. صمت .. لا مجال للمقاومة .. ونفس النظرة اليائسة المستكينة وإمامة قصيرة الظل ولكن باحشائها أكثر من معنى فصرخت

ــ كنت تعرف أنها ستخونك ؟ !

وإذا بنبرات صوته تخذله فتأتى إلى كصرير باب مغلق وهـــو يقول لى :

ــ بالله عليك لا تفضحنى .

وبكى الرجل .. كنت أراه يتهاوى كشجرة بلوط يجزها منشار ومن خلال دموعه قال لى :

— لا تدع سرى يصبح لقمة سائغة فى أفواه الكلاب فأنا أتوسم فيك المروءة والخير .

— ليس قبل أن تجيب على أسئلتى

— سأصدقك القول إذا وعدتنى وعد شرف

— سيبقى السر حبيس ثلاثتنا

— وعداً

— أنا لا أحنث فى وعودى

— ماذا تود معرفته .

— اللعبة من أولها لآخرها

— ماذا تقصد ؟ .. أنا لا أفهم

— بدأت تتغابى ..

— وهل تسمى هذه لعبة ؟

— نعم .. لقد دبرت وابنتك لعبتك المكشوفة فأخبرتنى أنها زوجتك لا تربط معها وبعدها تدخل فجأة والمأذون فى أثرك ومعه قيد الزواج بالضبط مثل حكايات السينما .

فتنهد بارتياح عميق وتهلل وجهه بأسارير طمأنينة وابتسم وهو يقول :

— أنت ذكى .. صدقت فى استنتاجك

— ولكن ما يحيرنى شىء بل أشياء .

— قل وسأجيبك بصراحة وصدق ..

— كان يمكن لى أن أتزوجها بغير هذا الطريق الملتوى .. فهل تخفى وراء ذلك الملتوى سر .

— أبداً إنها أحببتك .. وأنا في حياتي لم أرفض لها طلبا ..
— إذاً فلماذا لم تخبرني من البداية إنها ابنتك .
— شعورك بأن الطريق سالك .. لا يجعلك تقدم ثم تؤخر خطوه في الإندماج معها .
— كنت إذاً خارج الباب .. تنتظر الفرصة المواتية .
— لم أخرج مطلقاً من الشقة ..
— ماذا كنت تنتظر لقد فعلنا الكثير .
— أن تندمج قليلا معها .. دون أن تتورط .
— وكان ذلك كافيا
— نعم .. كافيا لترتبط بها .
— إنني لم أنم طول الليل .. خيالها لم يفارق مخيلتي .
— أحببتها
قالها ساخرا
أجبته بسرعة :
— لا أعلم
ومرت فترة صمت قصيرة قال بعدها :
— أرى الراحة وقد شملتك بعد أن أجبت على كل أسئلتك الحائرة
— لا .. بل بقى سؤال أخير .
— أسرع قبل أن تحضر سناء
— إنني أرغب زواجها ...

وافترقا فمه دهشة وانقلبت سحنته إلى سحنة مارد مخيف وهو يقول:

ـ نعم ؟ ماذا قلت ؟

ـ قلت أريد ان أقترن بها ..

ـ من ؟ مقاء ..

ـ لا .. سنس .. قصدى نسمة ..

ـ بعد كل ذلك الذى حدث .

ـ كنت نسمة حسنة النية ..

ـ ولكن ..

ـ الآن إذا أردت ..

ـ سنكمل حديثنا فيما بعد

ـ ليس قبل أن تعدنى .

ـ إن للزواج إجراءات كثيرة .

ـ ماذا دهاك .. كنت بالامس متسرعاً والآن متحفظاً ..

ـ إعطانى فرصة لافكر ..

ـ تفكر ؟ إنك تسوفنى .

ـ بدأت تضايقنى بهزل حديثك .

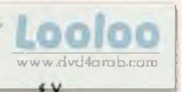
ـ أخال الحقيقة ما زالت طى الكتمان .

ـ يا إبنى هو الجواز لعبة ! !

ـ غريبة .. إنها لهجة جادة تحمل معنى الرفض .

ـ فسر كما تشاء ..

ـ إنك تكذب على .. وتخل باتفاقنا ..



— وماذا بعد .

— ستصبح سيرتك مضغة فى أفواه الناس .

— يا أستاذ فكرى الحقيقة محزنة

— قلها . .

وسكت قليلا ثم قال بصوت خافت :

— إنك لا تستطيع الزواج بسنين .

— كيف ؟

— لأننى أحبها . . ولا أستطيع فراقها .

— كل أب يحب إبنته . . ويبكى عند فراقه لها . . ولكنه يسعد بزواجها .

— هذا إذا كان أبيها

— لقد أشعلت داخلى كرا من التساؤلات . . . إذن فهى علاقة عارة !

فى تلك اللحظة بدأت الدموع تطفر من عينيه وقال بصوت خامل عادى . . ولكنه هز كل ما بداخلى :

— إن سنين زوجتى

فسحت فيه بحده :

— قل لى . . ماذا أصدق .

— ما قلته أخيراً هو الحقيقة . . سنين زوجتى على سنة الله ورسوله .

وسكت قليلا ثم أردف قائلا :

— أريد أن تمزق سبباً يقنعك .

— بل أريد أن أسمع الحقيقة .

وتاهت نظراته .. وانتصبت قامته ليغلق باب الحجرة ثم عاد من جديد إلى مكانه بنظراته التائهة الشاردة . أحسست بثقلها على وجهي ثم وهو يصمها من خلال زجاج نظارته السميك على الباب وبدأ من جديد يتحدث بنفس الصوت الخامل :

— تخيرت نسمة من عائلة طيبة .. أملي في شبابها أن يعيد ما فقدته خلال سنين البعد عن النساء بعد وفاة زوجتي الأولى .. ولكن كان سرابا .. كنت أفقد كل ليلة ماء وجهي عندما يتعذر على إشباع جسدها المتحرش بي .. عندما يصعب على أن أهدى جسدها المتوتر بالرغبة المحمومة وهي تداعب جسدى بأناملها .. تقبلني . أمني نفسي من خلال روشتات الأطباء .. وأحجبة أولياء الله والمشعوذين أن تفك عقدتي ونحسي .. ولكن لا فائدة إلى أن عدت في صباح أحد الأيام من عملي لشعورى بوعكة فوجدت الشقة خالية على عروشها وبعد أن آويت لحجرتي أتاني صوت ممزوج برعشة هستيرية من الصندرة وعندما صعدت وجدتها عارية تماما في أحضان السياك ترتشف منه القطرة الأخيرة من متعتها وضاعت ثورتي من خلال حبي لها ....

— كل هذا ولم تطلقها!

— طلقتها أكثر من مرة .. ولكنني كنت أعود إليها ثانيا .. أمني نفسي من جديد بالأمل أن تفجر أحضانها الشابة الدافئة رجولتي وأن ينغلق الظلام عن فجر جميل .. ولكن سراب .. سراب ما عشت

فيه ، وما يحتويني اليوم وفي النهاية عقدت معها صفقة أن أتخير لها الرجل المناسب بشرط أن تستمر علاقتنا الزوجية .

— وكنت أنا أول أسد للبؤة في غابة الجنس .

— الحقيقة .. فقد سبقك كثيرون .

هزتني كلماته وأنا أسأله في حدة :

— وأى فائدة تجنيها من وراء ذلك .

— أحول أهازيج الجنس إلى واقع في الحمام وأنا أستشعر . أستقطر اللذة الحسية .

— ومن أدراك أن لا يلتقطها غيرك .

— بيدى الصدمة .. وصورها العارية الفاضحة .. وخوفها من الفضيحة في المحكمة .

— أنت شرير .

— لا تظلمني .. فأنا مريض بحبها .

— لا تقل ذلك .. فألف باء الحب الأنانية .

— أنانيتى أن أراها عارية من خصاص الباب في أحضان رجل .. أن أسمع تأوهات جسدها الفاضح .

— زكيتك صفة أشدو أذكى .

— دون أن تعرف الدوافع والأسباب .. تكون ظالما .

— مهما كانت تلك الدوافع .. فأنا أحتقرك .

— لن أنسى لك هذه الإهانة .. وإهانة ستنسى .

— إفعل ما بدا لك ..

• • •

ومضت الايام وبدأت علاقتى تتوثق بسناء .. كانت تشجعنى على الحديث معها .. على لمسها .. وعين شروخ تحاصرنا إلا أننى كنت متحفظاً .

وفى نفس الوقت وصلت علاقتى لشروخ لما تحت الصفر .. وكثر غياب الرجل العجوز وبالتالى بدأت سناء تنتهز فترات غيابه لتتقرب إلى أحسست بحبها لى برغبتها فى التقرب إلى .. وفى صباح أحد تلك الايام الذى سأظل أذكره .. لأنه يذكرنى بالجحش الذى بصمتى كانت سناء فى أحلى صورة .. بالروج القانى .. بالجيب القصير جداً .. بالصدر الناقر .. تقترب منى .. تجلس بجوارى .. ترفع الجيب قليلا ثم تهمس لى وهى تشير على فخذها :

ـ لقد اصطدمت بالمكتب ..

ومدت يدها تسحب يدى بين أناملها .. وكأنها بلسم يشفى الكدمة .. وتأوهت وهى أنت مجنون .. تأوهاتنا عما يحمل بداخله معا زعافا .. وتحسست الكدمة وبقيت يدى تلمسها وتذكرت فى تلك اللحظة التماثيل .. والسقف المشروخ . لم أتحمل لحظتها .. أنا لست نبياً .. لست يوسفا .. لست جحشاً أخذتها بين أحضانى .. فاستسلمت وهى تهمس كم أحبك .. ثم ابتعدت على لتوارب الباب قليلا وهى تقول لى حتى لا يرانا أحد .. واستندت على الحائط بجسدها ورأسها وتدلاه شرانى من صدرها العرى .. ومن شفتيها الجنسيتين .. ومن جفونها المسبلة .. ومن اهاتها المتقطعة .. وانقضضت إليها أريد أن أستأنس صدرها .. شفتيها .. جسدها .. وفجأة عندما

اقتربت منها تهشتني بيدها . . صفعة شديدة تهز نى وتهز كيانى . .
أفيق منها على الباب وقد إنفرج عن شمروخ بوجهه القمىء ورئيس
المستخدمين وتوسلاتها وبكائها وصراخها وكلماتها . . «لقد أغلق الباب
وحاول أن يقبلني وبهتك عرضى ولكني قاومته» حبكت أطراف
المؤامرة باتقان بينها وبين شمروخ . . وكان أحد الشهود الرئيسيين
مسعود أفندى .

خطوت خطواتى فى الشـــارع الطويل العريض خارج باب
الشركة . . أحتوى جيبى بنطلونى الخاليتين إلا من قرش ألومنيوم .
أحتوى معه خيبة الأمل والمرارة وسؤالى مازال يطرح نفسه على بقسوة
وشده . . سؤالى للقارىء . . هل أنا حقاً جحش . . هل أنا اسم على
مسمى ياناس . . صدقونى . . أنا لست جحشاً . . إنه اسم فقط . .
لقب ورثته تركة مورثتها حى يرزق .

العصا السحرية

السيد مدبولى

رجل بسيط إعتاد أن يشترى بنفسه لوازم البيت من خضار وأرز وشاى وسكر .. ومتواضع يقف فى طوابير النمل الآدمى بالساعات الطوال أمام الجمعيات الإستهلاكية ليحصل على كيلو أرز أو سمكة أو مشط كبريت .

فى الساعة الثانية ظهراً يلق على مكتبه الضيق نظرة وداع أخيرة قبل أن يخطو خارج المصلحة ليتشعلق فى أى أوتوبيس ليصل إلى بيته بالجيزة بعد ساعتين .. وفى طريقه إلى بيته يجد أحياناً طابوراً طويلا أمام الجمعية ، فيسأل عن سبب هذا الخط الطويل المتعرج من النمل الآدمى هل يوزعون بطيخاً مجاناً أكثر من فم ولسان يتطوع بالإجابة .. فينحشر داخل الطابور على وعسى أن يصيب شيئا من الممنوعات التموينية وأحياناً يزوغ من العمل فترة الصباح عندما يهمس له سليمان الساعى بأنه يوجد بالجمعية القريبة سمك سعر الكيلو أربعة عشر قرشاً .. يترك ملفاته ويسرع وهو يقفز السلالم فى سعادة غامرة .. فزوجته تهوى هذا السمك الرخيص ، وينقمص داخل الطابور المعوج ليعود إلى البيت ومعه السمك لتجهزه زوجته ثم يعود إلى عمله مطمئناً راضياً ليكمل أعماله اليومية بالمصلحة وهو يرى بخيال عينيه السمك المشوى المرصوص على طبق الصاج المقشر .

وعند أوبته إلى منزله ينسى وهو يمنى النفس بأكلة سمك شهية زحام الأتوبيس والبهدلة ورائحة العرق النفاذة .

كان يحسب متوسط عدد ساعات وقوفه اليومى ما بين الأتوبيس الجمعيات .. للسير فى الشوارع فيجد أنه يقضى ست ساعات واقفاً على قدميه .

وبالحساب البسيط تبين أنه يضيع ربع عمره فى الوقوف ونصف عمره فى النوم ما بين سرير البيت ومكتب العمل .

رجع إلى بيته فى ذلك اليوم .. وقد قاربت الساعة السادسة وعادة لا تسأله زوجته عن سبب تأخيره إلا أنها رأت داخل سحنته من الضيق الممزوج بالقرف سبباً وجيهاً لسؤاله :

- أين كنت

-- فى الجمعية طبعاً

- فى الجمعية ويداك خاليتان وقميصك ممزق .

- سرقت .. سرقونى ولاد الكلاب .

فصرخت فاطمة واضعة يدها تتلاقى وصدرها فى لطمه خفيفة :

- وبنا يجازى ولاد الحرام .

وتذكرت أمراً طاف عليها كومضة برق فاستطردت متسائلة :

- وباقى الشهر ؟

وصوت مدبولى الخفيض الذليل :

- يفرجها المولى .

وبات السيد مدبولى تلك الليلة لا يغمض النوم عينيه لا لأنه ليس فى بيته ما يعينه على الإنفاق حتى آخر الشهر .. إنما كان يعانى من قلق آخر ذايت داخله نفسه .. إن ربع عمره يضيع فى الوقوف ما بين

الجمعيات وانتظار الأتوبيس للوقوف فيه .. فإذا استطاع أن ينتفع بهذه الأيام والشهور والسنين الضائعة في شيء نافع .. فإنه يكون بذلك قد أضاف سنين أخرى لحياته فالعبرة في عمر الإنسان ليس عد السنين التي يعيشها إنما بقدر ما ينفع به نفسه وينفع الناس ..

إضطجع في تلك الليلة على سريره يسمع شخير زوجته وإبنيهما الذين وهو يعد الكوفرته بقدمه .. فيغطيه من جديد .. ينفضها فيه حينها ليغطي جسده النحيل الضامر من جديد .. وسؤال يراود نفسه ألا يوجد حل لضياع هذه الأيام ؟ . وسؤال ثان هل هي مسئوليته ؟ وسؤال ثالث كيف يجد حلا ؟ .. لقد مرت سنوات وكثيرون يعانون منها .. ولكنها تضخمت حتى أصبحت كابوسا مخيفا في اليقظة والأحلام . وحسم مدبولي أمره .. ونام في تلك الليلة نوماً هادئاً مطمئناً . وفي اليوم التالي تقدم بطلب أجازة مدة أسبوع وعندما سأله رئيسه عن سبب هذه الأجازة المفاجئة أجابه بأنه يريد أن يحل مشكلة المشاكل .. إبتسم رئيسه في سخرية شديدة ورماه بسهام الإستخفاف والريبة يقول له بلسانه الصامت . قصرنا عملك على الصادر وكلفنا آخر بالوارد فما بالك بمشكلة تقول عنها أنها من أخطر المشاكل . . !!

وبدأت الأجازة .. وبدأت متاعبه .. وأولى محاولاته لحل المشكلة .. حمل نفسه أول يوم في إجازته إلى مكتب الوزير يرغب مقابلته .. كان يعتقد أن الأبواب ستفتح على مصراعيها لأن حقائبه تحمل حلا لأهم مشاكل العصر لكنه صدم والساعي يبتسم بسخرية وهو يقوده إلى حجرة واسعة تفرشها سجادة حمراء .. في صدرها مكتب

ضخم .. يجلس وراءه شاب كأنه مرسوم على غلاف مجلة ، ويسأل مدبولى الساعى وهو يكمم عراوى جاكتته ... «الوزير» فيرد عليه الساعى بمشروع ضحكة مكتومة وبصوت خفيض قبل أن يختفى من الحجرة «مضبوط» .. وما إن رفع مدبولى يده بالتحية حتى إبتدره صوت الجالس فى لكنة الباشوات «طلباتك» .

أبصر مدبولى قطعة الخشب المثلثة الراقدة على مكتبه وقد نقش على أحد وجهيها «شاكر فضل الله» واستكان تحتها عبارة «سكرتير الوزير» وعلى الوجه المقابل عبارة «لئن شكرتم لأزيدنكم» .

والرجل وهو يردد من جديد ، ومدبولى يعصر أفكاره كعود قصب فى معصره :

— طلباتك يا سيد ؟

لم يسع مدبولى تجاه الحاح هذا السكرتير إلا أن قال بلهجة الواثق من نفسه :

— أريد مقابلة سيادة الوزير .

واعتدل شاكر فضل الله فى جلسته ، وإبتسامه خبيثة تعلو جوانب شفتيه .. أكثر سخرية من إبتسامة الساعى وهو يقول :

— الوزير مرة واحدة !!

ثم إستطرد قائلا :

— خير !!



وابتسم السيد مدبولى بياصية بنفس السخرية وهو يتمعن إسمه المنقوش على اللافتة المثلثة .. لو كان بيده شاكر فضل الوزير لأصبح الإسم أكثر وانعية وانسجاماً مع عبارة « لئن شكرتم لأزيدنكم » . . وأجابه مدبولى فى هدوء :

– إنها مشكلة تتعلق بى أريد عرضها على سيادته .

– بك أو بغيرك لا يهم . . فى مثل هذه الأحوال تحرر مذكرة تعرضها على السيد الأستاذ مدير مكتب سيادة الوزير وإذا رأى أسباباً وجيهة ابرر لك مقابلته عليه أن يبحث فى أجندة المواعيد عن الميعاد المناسب الذى لا يكون فيه سعادته مشغولا بمقابلات أخرى أو لجان أو مرور أو إستقبالات أو دعوات فى شيراتون أو هيلتون او إحدى مؤتمرات المورده !

– إسطوانة قديمة مشروخة .

– يا سيدى لابد من معرفة سبب المقابلة .

– بدون إنفعال يا حضرة السكرتير . . ما حضرت من أجله سيخفف الكثير من المتاعب .

– ولو .

– والحل ؟

– اكتب طلب على عرضحال دمغة . . إعرض فيه مشكلتك .

– المشكلة فى عقلى . . داخلى . . تمصرنى ، لا تكتب ولكنها تفهم .

– أرجوك . . وقتى أثمن من أن يضيع فى سماع هذه المحاضرات .

ودلفت فتاة شقراء . . ناعمة كالحرير الذى ترتديه وانتفض

السكرتير من مكانه وصافحها وصوته يسبقه ، أتفضلى . . . ورفع سماعة التليفون . . وفى دقائق كان طيفها يذوب خارج الحجرة وهو يقول لها :

ـ سيادة الوزير سينتظرك فور وصوله . . إنتظريه فى حجرته .

أين إذن الأجندة . . والمواعيد . . والمقابلات ؟ .

ورد السكرتير على تساؤل وحملقة مدبولى الدهشة :

ـ ألا تعرفها أنها شوشو ملكة الرقص الشرقى .

ثم واجهه من جديد :

ـ خلصنا بقى يا سيد .

بعدها إبتسم لسيدة أخرى تجلس ضمن المنتظرين ترتدى ثوباً أسود والسكر يداخل الثوب وخارجه لحبات جمال هادىء وسألها :

ـ نعم يا مدام .

وبدأ الإعصار يهب ليحتوى مدبولى .. يطوح بكلماته الرصينة الهادئة بعدار إهمال السكرتير له . . علّه يثب إلى رشده ويعيه الفرصة التى أعطاها منذ قليل لان تهز بطنها وتطوح بثدييها . . وأحس السكرتير تحت وطأة حديث السيد مدبولى أن حالة المنصب التى تطوقه بدأت تتسرب . . وكما هو الحال فصوت العقل لا يوقفه سوى صوت الغضب العالى عندما يعلو بنعراته الهستيرية على ما عداه ليضيع داخل صرخات الجهلاء . . وفى تلك اللحظة دلف رجل طويل القامة يرتدى بدلة كاملة فى ذالك الصباح القائظ . . فوقف السكرتير وبالتالى السيد مدبولى بعد أن روعته وقفة السكرتير المفاجئة . . وبدأ الرجل يلج المشادة بسرعة

خاطفة وهو يسأل مدبولى عن مشكلته ، وهو يوجه سؤاله إلى السكرتير دون أن ينظر إلى مدبولى . . فأجابه شاكر فضل الله والكلمات تتعثر بين شفتيه كأنها إنحبست داخل عنق جرذ وهو يشير إلى مدبولى :

— إنه يريد مقابلة سيادة الوزير .

ومرت فترة صمت قصيرة أشار فيها الرجل إلى مدبولى ليتبعه وما إن إستقر على مقعده حتى إبتدر مدبولى بلطف وأدب جم :

-- إتفضل ياسيد . . إجلس .

تخير السيد مدبولى مقعداً وثيراً . . شعر بالراحة تنساب إلى جسده وهو يغوص فيه . . لكم يتمنى إغفاءة قصيرة فى أحضان هذا الفوتيل المريح وهواء التكييف الرطب يطفىء حرارة الجو وفضاء الحجرة الواسع يشعره بحرية وانطلاق . .

وارتمى نظره على أثاث الحجرة . . ومنضدة الإجتماعات بمفرشها الجوخ الأخضر والمقاعد المتراصة . . إستعاد بذاكرته الحجرة الضيقة التى يشغلها والمكاتب الخشبية البالية ولعبة الكراسى الموسيقية . . لم يسمع مدبولى صوت الرجل وهو يسأله :

— طلباتك ياسيد . .

وفى المرة التالية أخرجه صوته الخشن الهادىء المتزن من شطحاته فرد عليه يحاول أن يجمع شتات فكره المبعثر بقوله :

— أريد مقابلة الوزير .

وبدأ سباق رهيب فى مباراة غير متكافئة لهدوء الأعصاب . . أحد طرفيها خيط من الماء سلس يتحدى فى هدوء وروية داخـــل مدبولى والثانى جواد جامح يرى يضغط على شدق غضبه بلجام من حديد لم يكسبه من المرس فى المهنة . . هدوئه مصطنعاً . . أرضيه أمامه عصبية ظاهرة . . حركة يديه مبورة الأنفاس لم تنجح محاولات مدير المكتب أن يكشف مدبولى غطاء حديثه وأن يطرح مشكلته . لأن مدبولى يعتقد أنه لو فعل فسيضيع وسط آهات السخرية والتعجب مثل هؤلاء لا يفهمون وكيف يفهمون . . وهم ليسوا سوى تماثيل منحوتة من حجر أبيض جميل . . داخلها صلد وخارجها صلد . . مجرد مناظر ترى . . ولكنها صنعت بأيدى السلطة .

وفشل الإنسان أن يحرك الجماد . وضاعت مع خطواته اليائسة العائدة به إلى بيته أول ثمرة فكر حاول أن يخطوها من خلال هذه الزوجة تقول له :

ـ لقد بدأت النقود تنفذ .

فهدد عليها :

ـ باكر تتعدل .

وباكر حرر برقية ذيلها باسمه وعنوانه للوزير يرجو مقابلته لأمر هام . . خطير . . وضاعت المحاولة من جديد . . فالبرقية التى وصلت لمكتب الوزير بعد أربعة أيام من تحريرها ستعرض عليه بعد إنتهاء سيادته من البت فى عـــدة قرارات تفتح ثغرات المستغلين . . والوسطاء . . والسماسرة للاستيراد . . لأن الأمر واضح . . فاليأس دائما إما



أن يكون بداية الإنهيار أو مقدمة النجاح . . وهـــو بالقـية الـيد مدبولى دفعة جديدة له فى طريقه الذى صمم أن يكافح المسير فيه حتى نهايته . .

وفى الساعة السادسة صباحاً كان يرتدى ثيابه على عجل وزوجته ترمق تصرفه هذا بعين التعجب . . فمنذ عشرات السنين وهو لا يغادر شقته فى فترة إجازته إلا عندما تودع الشمس قرصها الذهبى خلف ستارة الموت المظلمة . . ويسير بجانبها على الكورنيش يأكلون كيزان الذرة المشوية .. يعتصرون حبات الترمس المملحة بعد أن تنفض أصابعهم قشورها المبللة . . ماذا حدث ! ! ماذا انتاب الرجل ! ! ولا أمان لرجال . . فتلوم مثل الماء فى الغربال » . ولكن مدبولى طيب . قضى معها أشياء كثيرة تجمعهما سوياً . . عشرة سنين ، وحب عادى وطفلان يزهوان بهما اظرانها تسأله وتسائله فإذا به يقول لها :

ـــ لا تقلقى سأقابل الوزير .

سكتت فقد تعودت أن تسمع منذ فترة أشياء غريبة . . خرافات فلو قال لها أنه رأى رجلا يحيى الموتى لصدقته ، لو أخبرها أن القيامة قامت فإن تكذبه . . ولكن أن يقابل الوزير . . أن يحل مشكلة المثا كل .. فهذه إحدى العجائب .. عجائب القرن العشرين

ترى ماذا يحمل الغد من مفاجآت ؟!!

* * *

وصل السيد مدبولى إلى مبنى الوزارة . . وبعد أن ألقى نظرة سريعة وقع فى حيرة غريبة أى باب يدخل منه سيادة الوزير . . لا يمكن أن يكون باب القطاع العمومى !! ودار دورة حول المبنى فاسترعى إنتباهه شرطيان منتصبان بقامتهما على باب آخر فرشت درجات سلمه بشارة حمراء فاقتنع من لأول وهلة أنه باب سعادة البيه الوزير وبدأ يقدح فكره من جديد . . كيف له أن يتعرف على وجهه المحمول على جسده من بين الوجوه الناعمة الملساء لعشرات الكبار . . وتذكر أنه كثيراً ما طالع صورة الوزير البهيه منشورة فى صدور صفحات الصحف وتحتها بالحروف الكبيرة تصريحاته العديدة حول قرب حل مشاكل الجماهير . . بل لقد رآه مرة فى التلفزيون وبجواره المذيعـــة الرشيقة بساقيها العاريتين . . وقد تدلى لسانها من كثرة المديح والنفاق للوزير الهمام صاحب السلطة والصولجان وجوربه المكريستال الفاخر يصيص بتلألأه للإشتراكية التى كان لحظتها يصفها بالحتميـــة على غيره فقط .

وكلما توقفت سيارة . . إقترب منها ليتعرف على راكبها ولكنه يعود من جديد إلى مكانه يخفى حنين وقد أدهشة تلك السيارات الكثيرة الفاخرة وقد نقش بجانب رقمها ق . ع . . كان ذلك يعنى بالنسبة له « قل . . على . . الدنيا السلام » .

بدأ اليأس يغرس أنيابه داخله . . فحتى الساعة العاشرة لم يشرف سعادة البيه بعد ! ! ربما إن إستداره ليعود أدراجه من جديد حتى رأى سيارة كاديلاك فارهة توقف وينطلق منها السائق ليفتح الباب الخلفى

واستقامت قامتا الشرطيين . . واندفع هو بكل ما بقي له من حماس الشباب وحرص الشيوخ . . وصوته يسبق خطواته :

— يا سيادة الوزير ! !

نظر إليه باستخفاف غريب ثم عاود مسيرته وكلابشان آدميان يلتفان حول ذراعيه . . ولكنه تخلص من حصارهما واندفع بكل ما بقي له من إرادة الأمل ليصعد درجات السلم خلف الوزير وهو يصيح من جديد :

— ياسيادة البيه الوزير .

في هذه المرة لم يكلف الوزير نفسه عناء النظر إلى هذا المتطفل . . وحراس المبنى يلتفون حوله . . ثم يسحبونه أمامهم . . يسحبون به بلاط المبنى وأسفلت الشارع إلى سيارة مغلقة . . لينقلوه إلى مكان بعيد إكتظ بأمثاله وبدأوا في إستجوابه :

— لقد حاولت الإعتداء على سيادة الوزير . .

— لم يحدث .

— إذاً . فكيف تفسر هجومك عليه

— كنت أريد أن أحدثه حديثاً من القلب إلى القلب .

— قولك هذا يقرب رأسك من حبل المشنقة .

— كيف !

— حديث القلب والعقل أصبح بدعة .

— إنها أمور تهم الناس والمجتمع .

— من أين لك الحق فى الإنابة عن الناس .

— إننى أتألم مثلهم .

— ألمك ليس شفيعاً لدينا بالإنابة .

— كنت أريد أن أريحهم من العذاب . .

— بالاعتداء على حياة الوزير . . بدأت تدلى باعترافك .

— كيف وأنا أرتعد خوفاً عندما تذبح زوجتى أمامى دجاجة أقضى جل وقتى من عملى إلى بيتى إلى الجمعيات ليضيع ربع عمرى .

— تقصد جمعيات سياسية إرهابية . . الإعتراف الثانى .

— ما أقصده الجمعيات الاستهلاكية . . أتتبع ما يصل إليها من سكر . . وصابون . . وفلفل . . وزيت .

— تقول سكر . . وصابون . . وفلفل . . وزيت . . الإعتراف الثالث .

— مصائب لم تكن على البال .

— إن ما رددته ليس سوى الشفرة التى تستعين بها فى اتصالك بجهات أجنبية مشبوهة .

— يا ناس . . ألم تسمعوا عن الصابون الذى ينظف الملابس والسكر الذى يحلى الشاى . . وزيت الفول المدمس . . وفلفل المواسم والأعياد .

— أنت مجنون .

— جائز جداً . . فالفرق بين المجنون والتعقل فى ذلك البلد هو نفس الفرق بين مجابهة المشاكل والهروب منها .

— ماذا تقصد .

ـــ إن ما ترتيبه الجمعيات .. يصلح مثالا طيباً لمجتمعكم .

ـــ وضح هدفك .

ـــ إنكم تذبحون المبادىء .. ثم تغسلون آثار دمائها بالصابون .. وبعد ذلك تجلسون على « المصاطب » لتشربوا نخبها ماء عفناً يمثل الأخلاق الجديدة بعد تحليته بسكر السلطة .. ويشرب معه أفراد المجتمع .. ليعتريهم الهزال والضياع ..

ـــ إن مكانك مستشفى الأمراض العقلية .

ـــ خير للانسان أن يعيش مع من لا يدركون أفضل من عقلاء خائنين .

ـــ حديثك يقطع بانتمائك لتنظيمات سياسية .

ـــ إطلاقاً .. مرة واحدة كنت عضواً فى جمعية دينية .

ـــ وضح لنا هدفها .

ـــ الاشتراكية الإسلامية .

ـــ وهذا ما يحدث اليوم .

ـــ قد قلبتم الآية .. وقرأتم الفاتحة من نهايتها .

ـــ أعوذ بالله من الشيطان الذى يطأ أفكارك .. الإعتراف الرابع .

ـــ إننى أؤمن بالله ورسله واليوم الآخر .

ـــ الإيمان بالفرد .. أسبق من الإيمان بالله ..

ـــ عدنا من جديد للآية المعكوسة .

ـــ هل سبق وضعك تحت الحراسة ؟!

ـــ الحراسة وأنا لا أملك شروى نقير .

ـــ ومرتبك ؟

ـــ لا يتجاوز الثلاثون جنيهاً .

ـــ لم يفرق القانون بين العقار والمـــال السائل .. سيستنزل منه المصاريف الإضافية والاستثنائية والخصوصية .

ـــ ويصبح الباقي صفر .. أبشركم الله بالخير .

ـــ عرفت .. هذه نهاية الظالم .

ـــ قلبتم الأوضاع .. بعد الآية .. الظالم أصبح مظلوماً .. والمظلوم أصبح ظالماً .

ـــ من وجهة نظرك فقط .

ـــ معايير العدالة أبدية لا تختلف من شخص لآخر .

ـــ إنك مسلم شيوعي .

ـــ لقد ضاع كل شيء .

ـــ أنت الذي ضعت .

ـــ لن يحدث ما دام داخلي قلب ينبض .

ـــ ستموت في حادث سيارة .. أو يجرفك تيار النيل بعد إنتحارك .

ـــ يا عالم .. كل هذا لأنني أردت مقابلة الوزير .

ـــ لقد عثرنا داخل سلسلة مفاتيحك على مطواة حاولت بها إغتياله .

ـــ دست علي .

ـــ إنكارك لن يفيدك فالتهمة ثابتة عليك .

ـــ ألا يوجد على تلك الأرض عدالة .. ألا يوجد إله يحرق كل شيء ليبنى من جديد شيء .

ــ استقالتك أو الكلب الأعور .. أو العسكرى الأسود .. أو حادثة .. ماذا تفضل ؟

. . .

وفى اليوم التالى كان السيد مدبولى مفصولا من عمله .. كل هذا لم يشعر الرجل الهادىء الواثق من نفسه .. لم يهن من عزيمته ظلام وبرودة الليالى التى قضاها على بلاط حجرة السجن الضيقة .. ولا بكاء زوجته وأولاده وحيرتهم على مصيره المجهول .. ولا رهبة الموت وهم يدهنون جسده بطبقة كيميائية عازلة ثم وهم يشعلون النار فى الكحول المسكب عليه .. ليعيش جسده ثوان داخل ثوب من النار .

وبات يفكر أول ليلة يبيت فيها مع زوجته وأولاده عما آلت إليه حاله بعد رحلة العذاب تلك . لم ينم ليلته وكابوساً مخيفاً يكتم أنفاسه . حشد من الهموم يطوق نفسه .. فشل ذريع يقيد إرادته .. وانتفض من مكانه على السرير وأسرع ليرفع سلماً إلى المندرة وأخذ ينقب فى محتوياتها .. أثاث مكوم .. حطام .. أرجــــل مقاعد .. سلال مهملة من بعض الأوانى النحاسية الصدئة .. مجلات وأوراق جرائد قديمة مبعثرة .. أين وضعه ؟ . أين مكانه ؟. لقد ورث المسدس عن جــــده الشنوانى ناظر الزراعة .. فأين مستقره ؟ .. بدأ يبعثر محتويات المندرة .. وتذكر لقد وضعه فى صندوق المكتب .. وسعد به وهو يعثر عليه ملفوفاً فى بعض الخرق البالية وسعد به أكثر وهو يحمله فى طيات ثيابه ويدلف إلى مكتب سكرتير الوزير الذى صاح فيه والدهشة تعصره :

ــ ثانى .. ثانى ..

لم يتكلم السيد مدبولى .. إنما شهر مسدسه يهدد به كل من يعترض طريقه إلى مكتب الوزير .. وذعر السكرتير وهو يتنحى ركناً قصياً .. وترنح صوته يحاول أن يجمع أشتاته المبعثرة فى صيحة لاهثة .. ولكنه عجز .. وما أن توارى مدبولى بمسدسه داخـــل حجرة مدير مكتب الوزير حتى عادت إليه صيحته فى كلمات قليلة متقطعة :

ــ المجنون .. المجنون .. سيقتل الوزير .. التليفون .. بوليس النجدة .. الإسعاف .

. تقدم مدبولى وداخله يبتسم عندما رأى الحرف الثانى يختفى بوجوده الفارع خلف مكتبه وهو ينظر بعينيه الضيقتين من أسفل المكتب إليه وهو يقتحم حجرة الوزير .. وأخيراً أبصر مدبولى الوزير قابعاً يستند بأحد مرفقيه على المكتب .. بينما احتضنت اليد الأخرى التليفون .. وما إن استدار قليلا على صوت الجلبة ودخول مدبولى حتى هب فزعاً من مكانه يحاول أن يصنع رداء الشجاعة من خلال نسيج الخوف الذى غطى عليه نفسه .. إلا أن مدبولى بادره بهدوء غريب وهو يقف قبالته يشهر مسدسه :

ــ أنا لا أرغب إيذاءك .. ولكن لا تضطرنى إلى قتلك .. وقتل اثنين وثلاثة وعشرة .. كل ما أطلبه منك أن تجلس فى هدوء لأتحدث إليك .. وأن تمنع أى شخص من ولوج الحجرة .. فأنت رهينة بين يدى .. ولكن حذار أن تحاول خداعى

وساد الهرج خارج الحجرة والجميع يتصايحون .. « الوزير .. المجنون قتل الوزير لقد سمعنا طلقة .. المجرم فى الحجرة » .. وحاول الوزير أن يصنع من جديد ثوب الشجاعة من نسيج الخوف الذى فشل فى صنعه أول مرة فضغط الجرس .. وقد حيره ذلك الهدوء الغريب الذى كان يشمل الرجل وثقته الزائدة بنفسه وما إن أطل مدير مكتبه برأسه من فتحة الباب المواربة ينتظر تعليمات وزيره بعد أن رآه حياً يتنفس .. حتى ألقى إليه بأمره القرصان :

ــ إمنع أى شخص من دخول حجرتى .. حتى الشرطة لا أريدها أن تتدخل فى الموضوع ..

واستدار مدير المكتب ليعود أدراجه إلا أنه توقف من جديد وهو يسمع إستطرادة الوزير :

ــ أى خطأ فى تنفيذ تعليماتى معناه ضياع حياتى .. إحفظ هذه الكلمات وعها جيداً .. وأغلق الباب وراءك .

وأضيئت اللمبة الحمراء .. وصوت الوزير وهو يوجه حديثه إلى مدبولى وقد بدا أكثر هدوءاً :

ــ نعم يا سيد

فأكمل مدبولى :

ــ مدبولى يا أفندم

فكرر الوزير من جديد :

ــ كلى آذان صاغية .. إجلس .. ولكن أرجوك أن تبعد فوهة ذلك المسدس حتى أستطيع أن أحادثك دون ضغط أو إكراه .

قال مدبولى فى مدونته المعهود :

ـ إن المشكلة تنحصر فى أننى وجدت أن ربع عمرى يضيع هباء فى الوقوف والإنتظار .

فأجابه الوزير باستخفاف غريب :

ـ هذه مشكلتك فعليك حلها .

ـ دون أن تسألنى عن سبب وقوفى وانتظارى .

ـ لقد فهمت أنك تساعد زوجتك فى المطبخ .. أو تقف على النواصى لتعاكس الفتيات ..

إنهـــا ليست مشكلتى وحدى .. بل هى مشكلة العشرات بل الآلاف .. بل الملايين .. إنها مشكلة العصر فى بلدنا .

ـ لا أفهم

قالها الوزير بدهشة .

ـ سأحكى لك .. إننى أخرج من بيتى لأقف ساعات فى إنتظار الاتوبيس ثم بداخله كسردينه .. لانتظم فى طوابير الجمعيـــات الإستهلاكية .. فلو استطعنا التغلب على مشكلة الوقوف هذه لتمكنا من خلال نفس الوسائل أن نحل كافة المشاكل التى تواجه مجتمعنا من مجارى ومستشفيات ومدارس ومســـاكن .. او تمكنا من القضاء على مشكلة واحدة لأصبح لدينا رصيد إيجابى لحل باقى المشاكل ولأضفنا إلى أعمارنا تلك السنين التى تضيع هباء .. ولأضفت أنا إلى عمرى عشرات السنين .

فاضطجع الوزير على مقعده المريح وقد إسترد كثيراً من ثبات



أصحابه وهو يقول :

— لقد عجز من سبقني في شغل مركزي في حل هـذه المشاكل .. وسيعجز من يجيء بعدي لأن هذه المشاكل تتعلق بالعملة الصعبة وتوفيرها لاستيراد المواد التموينية والاوتوبيسات .. وبالميزان التجارى وعجزه .. تتعلق بمشكلة الأسعار العالمية التي ارتفعت فجأة لتختنق الأسعار المحلية .. تتعلق بعجز الإنتاج المحلي من الثروات الحيوانية والدواجنية والسكرية والزراعية عن ملاحقة الإستهلاك المحلي المطرود .. وبزيادة عدد السكان .. فالنسـاء عندنا كالأرانب يلدن كل ثانية مولوداً جديداً .. لذلك يجب أن نعالجها من أساسها .. ولن نجد هذا العلاج إلا بعد عشرات أو مئات السنين .. أما في الوقت الحالي ..

فقاطعه مدبولي :

— إذا كنت عاجزاً .. فاتركها لمن يستطيع أن يأتي بالحل .

— يا سيد مدبولي إن تحقيق المعجزات ليس أمراً هيناً .

— منذ عشرات السنين ونفس اللحن يتردد .. إن فشلك وفشل غيرك يكمن في عجز إرادتك .. والإرادة العاجزة لا تلد الحلول .

— لم أرفض من حـاولتي الحل .. ولـكن ذلك سيستغرق أجيالا وسنيناً ..

— لقد زهدنا الوعود البراقة الـكاذبة .. زهدنا الإبرة اليدوية ترتقون بها الثياب البالية .. نريد أردية جديدة .. حلولا .. لا وعوداً بها .

— إن كلماتك تصلح لتكون مقدمة ميثاق .. ولـكن الـكلام شيء

والواقع شيء آخر .

ـ أبدا فالواقع أنك وغيرك مسلوبو الإرادة .. عاجزون.

ـ بدأت تسب والموت عندي أهون من إهدار كرامتي ..

ـ كلمة واحدة ضايقتك .. والناس .. ألا تهدرون كرامتهم كل يوم .. وكل دقيقة .. وهم يقفون في الطوابير يتحكم فيهم ذوو السوابق والقروانية من بجحـــات السطو المسلح الآوينية .. وهم يقفون في الأوتوبيس كالبهائم تهان آدميتهم .

ـ وماذا بعد هذه الخطبة ؟

ـ المعاناة ..

ـ وماذا بعد المعاناة ؟!

ـ ستلد إرادتك أنسب الحلول .

ـ هات ما عندك .

وانتفض الوزير من جديد خوفا ورعبا ومدبولي يشهر مسدسه تجاه رأسه بيد ويدفعه أمامه باليد الأخرى وهو يسأل مدبولي بهلع :

ـ قل لي بربك .. إلى أين تدفعني بهذه القسوة .. اتركني ولا تقتلني من أجل أولادي ..

ودفعه مدبولي من جديد ليتخطى باب الحجرة .. وجنود الشرطة وقد سدوا ردهات المبنى .. والمصورون والصحفيون يتدافعون حتى لا يفوتهم تسجيل ذلك الحدث الفريد .. والسيد مدبولي يتعقب الوزير بمسدسه ويده .. وهو يحذر الإقتراب من الرجل .. وهبطا



درجات السلم واستقلا السيارة والوزير يكرر تحذيره بألا يتعقبه أى إنسان .. ومدبولى يعطى تعلياته للسائق :

— جمعية النيل الاستهلاكية .

ثم وجه حديثه للوزير بعد أن توقفت السيارة أمام باب الجمعية .

— سنبدأ الآن تنفيذ الإقتراح .. كل ما أريده منك أن تقف فى هذا الطابور .

وصوت الوزير وقد إستعاد بعض هدوئه :

— ماذا تقصد من ذلك ؟!

— لا تسألنى .. ولكن إفعل ما أطلبه منك .

— ومن أدراك أنى لن أهرب .

— لأنى سأكون خلفك ومسدسى موجه إلى أحشائك من داخل جيب سترتى ..

— أمرى لله ..

ويستقلان من جديد السيارة والوزير يقول :

— كما ترى فيدى خاويتان إلا من البون بعد أن نفدت أكياس الأرز .

ومدبولى وهو يوجه حديثه للسائق :

— جمعية الجامع بمصر الجديدة .

وانتظم الوزير فى الطابور من جديد وإذا بصوت مدير الجمعية يأتيه بعنف وقسوة :

- إنت يا حمار هناك .. إنتظم فى الصف .

وصاحت ثورة الوزير ومدبولى يتمتم له :

- لا تؤاخذه فهو أحد قباطنة السفينة .. والحصيلة النهائية كيلو سكر وقطعتى صابون ومشط كبريت ..

- على جمعية السمك بالسيدة زينب ..

بهذه الكلمات أعطى مدبولى تعليماته للسائق .. ويتردد الوزير فى مغادرة السيارة فيدفعه مدبولى بقوة مستمرة .. ويصيح الوزير باستياء ظاهر :

- كيف .. فما أراه ليس سوى معركة حربية لا ينقصها سوى الرماح والسهام ..

- فلتكن إذن أنت بطلها .. أو ضحيتها ! !

وضاع الوزير داخل الزحام الرهيب . اتخل الآدمى يتقيه .. يدفعه بعيدا .. فيعاود الكرة .. يندفع من جديد خلال حرش السيقان والأيدى والأجساد المتلاصقة .. وفى النهاية كيلو سمك من الذى تهواه فاطمة زوجة السيد مدبولى ..

- إلى أين تانى .. لقد تعبت .. ساقاى لا تقويان على حملى بعد أربع ساعات وقوف .. لا داع لكل ذلك .. فأعطيك من خزين بيتى وثلاجتى كل ما ترغبه حتى الفراريج الدنمركى التى يعلنون عنها بالتلفزيون .. ومدبولى يصيح فى السائق :

- جمعية باب الشعرية يا أسطى .



إنه طابور الفراخ .. إختلط فيه الحابل بالنابل الديوك تنز
الفراخ وتلتصق بها .. ودخل الوزير المعممة وبدأ التدافع .. أحد
يدفعه من مكانه .. فيحاول الإحتفاظ بوقفته .. فيدفعه من جديد..
يتلقى الضربات بالأيدى والمناكب ولكنه بدأ يناضل عن حقه و
تدلت كرافتته وضاعت معالم ربطتها الأنيقة .. وقميصه وقد
بالعرق والجاكتة وقد خلعها لتطوقها إحدى يديه .. نسى تماماً مدبول
ومسدسه الذى إنسحب بعيداً بجسده الضئيل وهو يلقى النظرة الأخيرة
على الوزير وقد إندمج مع الناس .. أصبح واحداً منهم يناضل مثلهم..
لا ينفر من رائحة عرقهم النفاذة .. ولا من بصاقهم على حذائه اللميع ..
ولا من حديثهم عن مشاكلهم .. إنسحب السيد مدبولى ودموع
السعادة تمرح فوق بشرته النحاسية يعطى المسدس للسائق ويقول له :

— إعطه لسيادة الوزير .. ليحتفظ به تذكاراً .. فلو كان يعرف أن
مسدس صدىء لا يعمل .. ولا يحمل بداخله طلقات لما تمكنت من
تنفيذ إقتراحى ..

وبعد شهور كان الناس يتساءلون فى دهشة عن العصا السحرية التى
إستطاعت أن تحل مشاكلهم كلها . وأن يعيشوا فى راحة وسعادة
وأن يضيفوا إلى أعمارهم سنين طويلة أخرى ..

ولكن حتى الآن ما زالت توجد ثلاث أسئلة حائرة .. تطرق
السيد مدبولى .

السؤال الأول : هل يحتاج أى مسئول لمسدس مشهر ليحل هذا كل

...اس حق ولو كان صدقاً لا يعمل .

والسؤال الثانى .. ماهو هذا المهندس ؟ هل هو قوة الرأى العام
...ـد أن يشحذ بالحرية ليصبح صالحاً كرهب وصاصاته من لا يستطيع
...بأن بالعمل .

والسؤال الثالث .. متى يملك كل منا مهندس السيد مدبولى ..

والإجابة لن يجدها القارىء الآن .. لأنها قصة ككل القصص ..
...رهان ما تنفى .. ولكن قد يجدها بعد مائة سنة أو أكثر ..

الدموع لا تنبت أزهارًا

قصتي قصيرة

قصيرة جداً .. تطوح زرعها الأخضر آلام.
آلام كبيرة جداً ولكن آمال نبتها .. عظيمة ..
رائعة جداً .. أنا سوى كال .. والدى لم أتحور،
أمى أجبرت على أن أراد من خلالها .. أسأل
نفسى لماذا خلقنى الله ؟ ثم يرتدى سؤالى ثوباً آخر ولماذا كل الناس؟
الدنيا متاعب .. شقاء .. ولكن ألا نستطيع أن نرى من خلال
غياهب ظلامها الدامس شعاعاً من الأمل يصهر اليأس داخل نفسى
المعذبة .. ألا تنفرج الوجوه العابسة عن بسمة .. ضحكة .. من
أين تأتى ؟ هل من داخلنا أم أنها بسمة نصنعها كالكعكة .. لنأ كلها
الأفواه اليائســـة الجائعة لتضيع داخلها .. لتفرزها مخلفات ..
بقــايا ..

أنا إنسانة .. لا .. لا أعلم .. فما هو الانسان ؟ هل هو الخطيئة
هل هو الصواب .. الإستقامة .. الإنحراف ؟ ومع ذلك فإرادتى
أقوى من نفسى من كل ما جنيته من حصاد الآلام .. إرادتى يغذيها
الإيمان .. الإيمان بماذا ؟ هل بالحياة .. هل بما فى قلوب الناس من
الخير ؟ ولكن هذه الإرادة هى التى جعلتنى أستغنى عن ساقى كما تسلم
الأم وليدها لوحش الموت وهو ينام فى حجرها، هى التى جعلتنى
أخوض أمواج الحياة المتلاطمة بساق واحدة .. فالحياة أشياء جميلة ..
معان حلوة .. لا يهمنى أن أعيش بساق واحدة .. بدون ساقين ..
المهم كيف أعيشها .. كيف أرانى نفسى الهابطة للعلو .. فوق ..
فوق السحب .. يكفى أن بداخلى قلب ينبض ليس بالكراهية ..

ليس بالحقد لمن يحملون أجسادهم على ساقين . . ولكن بحب الناس . . معذرة إذا كانت هذه بداية قصتي . . إنها قصة لا شعر فيها ولا خيال . . حب عظيم . . أعظم ما في الوجود حب لمن . . ليس لله . . فحب الله عقيدة . . والعقيدة لا يصنعها الحب . . ولكن تولد مع الإنسان أو من خلال مخاض الإقناع . . أما الحب فشيء آخر . . لا نحسه بأيدينا . . أو نلمسه بأطرافنا . . أو نناقشه بعقولنا . . ولكننا نشعر به داخلنا . . في أعماق أعماقنا . . صحيح هو ينطبع على تصرفاتنا . . ولكنه إنطباع السحاب عندما يهطل المطر على الأرض الجدباء القاحلة . إجتمع الأطباء حولي . . يتداولون يتناقشون . . يتحاركون بالإنجليزية . . لا أفهم ما يدور خلف الحجرة المغلق بابها على جسدى وعقلي . . ولكن النتيجة واحدة لا سبيل إلى غيرها . . لابد من بتر الساق . . الساق المريضة بالسرطان .

كنت أسأل نفسي هل عجز الأطباء هو الذى دفعهم لذلك الرأي . . أم هي تجربة كـكل التجارب الفاشلة . . ولكنني وافقت . . وأذعنت أمي الرافضة لرغبتي . . لا أدرى لم وافقت . . هل لأنني أريد أن أنهض من سريرى الذى ظللت سنين ملتصقة به . . لأشم الزهور ،الأشجار في الشارع العريض ، هل لأنني أريد أن أسير على عكاز أستنشق معه هواء الشارع . . أتنسم نسماته الرطبة بعيدا عن جو الحجرة العفن . . أذهب للسينما لمدرستي الحبيبة حتى ألثم درجي الذى شغله غيرى . . أبصر وجه الأطفال الخضر في روعة البستان يمرحون بأجسادهم الهشة عبر



الحدائق والمزارع أرى الحبد ورونقه .. أقطف الزهور ، أروى بيدى قصارى الزرع العطشى أنزل السلالم .. أطبطب على قطة مسكينة تعدو الشارع .. لا أدرى ولكنى وافقت .. إرادتى صلبة .. قوية لم تهتز وهم يجرون لى الإقرار .. ثم وأنا أتحرك بترولى الموت فى سرداب المستشفى الطويل لحجرة العمليات .. لم أهتز وأنا أحس لامى وأبى أين ؟ ! نظرت إلى نظرات متوسلة تقول لى جا أشياء كثيرة .. وسألتها من جديد ... ألم تخبريه ؟ . أجابتنى من جديد بنفس نظراتها .. تحاول بعينيها أن تطفىء بابتسامتها ظلال الدموع .. كنت أعلم أنه بعيد .. بعيد عنا .. ليس بجسده فقط ولكن بأحلامه .. يتمرغ فى وحل مغامرته الجديدة .. قلت لها أين أخى .. أريد أن أراه ولو مرة واحدة فأنا لا أدرى .. يوم أراه .. غدى لا أبصره .. فابتسمت عيناها الذابلتان دموعها تترقرق تحاول حبسها .. ولكنها تستسلم فى النهاية .. وتنحدر قطرات كأنها شذى العطر الجميل فى كفن ميت وعاودت النظر إليها من جديد من خلال يدها الباردة التى تمسك طرف الترولى .. : كأنما تمسك خيط حياتى الواهى تفضحها رعشة يدها .. إهتزازة أصابعها وهم يدفعونى وأسأل من جديد :

— أين أختى بشرى رأيتها أريد أن أسعد بابتسامة وضاءة مشرقة منه ، أن يجذب خصلة من شعرى يعبث بيديه القذرتين بوجنتى ..

أريد أن أقبله .. أحصر فيه كل قبلات الحب .. فقد تكون قبلتي الأخيرة .. أريد أن أحتضنه .. أن تهجع نفسي داخل طوق طفولته البريئة ، وأن ينساب فمه عن « رياله » المعهودة ليغطى رذاذه! صفحة وجهي .. أين هي .. أين هو .. أين الجميع ؟؟!

سكتت ولكن بعينيها بلاغة الصمت .. ألمها أشد من ألمي .. فأنا أعرف نهايتي الموت والحياة عندي سيان .. نبع واحد كنا نرتوي منه .. كنت أتألم من أجلها وأنا أراها تداري عذابها .. ووصل إليها صوت الدكتور شريف عمر قاهراً .. باتاً .. حازماً .. إنتظري يا ست .. أمي وحيدة .. وحيدة في هذه الدنيا .. وحيدة وهي تلهث ورائي بدموعها .. وصوتي يصلها وأنا ألهث بالدموع :

— لا تبيكي يا أمي .. فلن أنساك .. إرسلي إليه .. إخبريه أنني في آخر لحظة .. كان في خيالي .. كانت ذكراه تطوف بي » .

وذكرياتي تسبح في بحر عميق قبل أن تسكن حقنة البنج داخل جسدي المنهك وبعد أن أفقت تساق واحدة ...

إستيقظنا جميعاً على نشيج أمي .. أول مرة نراها تبكي .. لماذا .. صمتت كعادتها وطبطبت علي وعلى أخي .. وهي تقول ، ناموا .. ناموا يا حبايبي ، ولكن بداخلها ثورة .. ثورة لم تتضح .. إعصار مازال يتحرك داخل مكان مغلق .. لم تنم .. والدي في الحجرة الأخرى وقد أضاء النور .. ماذا حدث .. لماذا هجرت حجرته إلى جوارنا وأسئلة حائرة ضاعت خلال ظلام الحجرة وعيني والدق المتيقظة ..



وفى الصباح رأينا فتحية الشغالة تجمع ثيابها وتخطو خارج الشقة ..
لا نفهم لا نعرف .. الأمور تجرى أمامنا فى صمت غامض ..
وخطا والدى وصوته يسبقه :

— سأوصلها القطار

وندت عن أمى صرخة أقرب ما تكون إلى التهديد :

— لا ضرورة أنها تعرف الطريق وحدها .

وتعطى جسد فتحية الرشيق وشفتاها بلا مبالاة .. بسخرية غريبة .. وكانت بوسطها وهى تخرج من باب الشقة وأبى يلاحقها .. وانتهى بافتحية . وخرجت فتحية من حياتنا .. وعاد الهدوء الذى افتقدناه يحتلنا من جديد .. ولكن شعرنا بشىء جديد هو تلك الأسرة .. الفرقة بين أبى وأمى .. لا يتحادثان .. لا يجلسان كعادتهما .. لا تنام معه فى حجرة واحدة .. غريبان تحت سقف واحد .. وسمعتها فى ليلة تصرخ : ابعد .. ابعد عنى .. بينى وبينك الحرام إلى يوم مماتى . تساءلت ماذا حدث أبى طيب .. ولكن أين الحقيقة .. فى هذا الانفصام ؟

واختنق البيت بالآهات المكبوتة .. وكثر غياب الرجل الطيب أصبح لا يطيق رؤيتنا .. نسأل أمنا .. ماذا حدث .. ماذا غيره ؟ فلا تجيب .. صمت .. صمت ثم تغيب فترة طويلة .. طويلة جداً .. قلقنا عليه .. وأمى تطمئننا .. قريباً سيعود .. ولكن وبنا ستر ... وكأنها قد اخترقت غياهب الغيب .. فقد عاد

إلينا .. عاد إلينا وفتح الباب ، وعدونا اليـــه جميعاً ترحب به نتعلق برقبته .. نقبله . كلنا ماعدا أمي فقد لزمت حجرتها .. عاد إلينا .. ووراء ظهره تقف فتحية .. غيرت ملابسها الطويلة بفستان قصير .. خصلتان من شعرها تسترسلان .. ولون الروج القانى على شفتيها وصوته يعلن :

ـــ ادخلي يافتحية .. وكلمة صغيرة دوت .. أصمت آذاننا أفقدتنا رؤيه الحقيقة وهو يقول لي :

ـــ سلمي ياسمير على زوجة أبيك . زوجة أبي ! ! الشغالة زوجة أبي ! ! لماذا طلب مني أنا ذلك ؟ كيف أخالفه .. ولكن أمي .. شلت يدي لو فعلت .. الخادمة تعيش بيننا سيدة تأمر وتنهى تعبث بمقدرات بيتنا تهوى على كل قيمنا .. ياخبر أسود وسحبهاأبي من يدها ليس إلى المطبخ ولكن إلى حجرة أمي .. وقال لها هذه حجرتك .. حرام .. أكبر حرام أن تصدم أمي .. ولكنها قاومت الريح العاتية وبقيت معنا هي والخادمة تحت سقف واحد ، تبعثرنا .. كلنا تبعثرنا .. تبعثرت نفوسنا الصغيرة الهشة .. أين الخطأ وأين الصواب ؟؟ ولم تهرب أمي .. قررت البقاء لتقاوم .. تقاوم العاصفة ... التمزق الأسرى .. تحاول أن تلم أطراف الجرح أن أن تضمده قبل أن يتقيح وينشر السموم داخل جسد العائلة .. كانت تقاوم ولا تحاول أن تهز صورة هذا الأب أمامنا .. كانت تقول لنا وهي تحنو .. تهدهد على مشـــاعرنا .. إنه إنسان ولكل

إنسان زالة قريباً يعود إلى صوابه .. وعندما تطرقها بأسئلتنا تقـــول « يعني هو الجواز حرام » وعندما تقول لها « كيف بتزوج بالخادمة» تسألـنا وهي تقول من جديد « معلوش بكرة الأمور تتعدل » ومضى الوقت وكل شيء مكانه لا يتحرك إلا صورة أبي تجني إهتزت وانطبع ذلك على تصرفاتنا نحوه .. تغيرت لهجتنا .. طريقتنا في معاملته .. وبدأ هو الآخر يقسو علينا .. وبدأنا نتبعثر .. لم نعد ندرى أين الحقيقة أو الصواب .. أين الخطأ .. وعاشت فتحية معنا .. أو عشنا مع فتحية ، عاشت الخادمة سيدة .. لم تكتف بذلك .. إنها تحاول أن تعوض ماضيها .. بأن تنتقم من أيام خدمتها في البيوت في شخص أمي الطيبة الحنون .. تريد من السيدة أن تصبح خادمة لها تنفذ طلباتها وكل رغباتها .. وبدأت والدتي تصوم عن كل شيء .. عن الطعام والشراب حتى عن الكلام مع فتحية .. تتعالى بشمم على بصمات أحاديثها الوقحة وهي تقول لها « أنت أنفك في السما .. لافرق بيني وبينك .. كلنا ستات ولاد تسعة » كنت أسأل أختي أسئلتي الحائرة ماذا يجعل هذه الأم أن تعيش مع مثل هذا الرجل .. تستطيع أن تترك بيتها لأبيها الموسر .. ولكنني لم أعرف أنها قررت أن تقاوم .. ولكن البيت يتهشم .. تنهار أعمدته داخل مشاجرات ومشاحنات لا تنتهي مرة بينها وبين والدي .. وأخرى بين فتحية وأمي وثالثاً بيننا وبين فتحية .. السلام يهرب .. القلق ، والتعاســـة ، والألم أعمدة ذلك البيت .. الكل يهرب من البيت عصام وأختي وأنا وأمي التعاسة تحتوينا .. نفذ صبر أمي .. تركتنا .. تركت أولادها .. بعد أن زارنا جدي

لتعيش معه بعيداً عنا .. عندما تعذر عليها الحياة بعد أن أصبحت معاشرته مستحيلة وبعد أن إستنفدت كل السبل .. وبعد أن طلبت أن تعيش مع أولادها فى شقة أخرى .. ولكن هربت كل عروض الحلول بعناد والدى وإصراره .. وأخيراً طلبت الطلاق.

ومن خلال الدموع والآهات بدأت أعرفه .. حلمى .. الإشراقة الجميلة فى ظلمات حياتى لا أدرى هل أحببته .. ولكنى تعرفت عليه عندما كنت أسجل خطاباً لخالى .. قال لى بلهجة ودودة وابتسامة غامضة « الظاهر إنك بتحبي خالك » .. لم أجبه يومها ولكنى إبتسمت وفى المرة التالية قال بنفس اللهجة الودودة هو يعيد إلى الرسالة .. «نسيتى تكتبى إسمك وعنوانك » .. وعند ذهابى إلى مدرستى .. تبينته خلفى بساحة وجهه .. وابتسامته الضاحكة وهو يسرع نحوه ويناديني .. « يا آنسة سهير » توقفت ومد إلى يده برسالة وصوته يخرج ضعيفاً متردداً من خلال أنفاسه اللاهثة « رسالتك وأيت أنه أسلمها إليك .. الظاهر إنها من خالك » :

وتقابلنا أكثر من مرة .. لا أعلم أهى الصدفة التى كانت تجمعنا أم أن القدر أراد أن يؤلف لنا بداية قصة عطرية .. وعند رجوعى من مدرستى رأيته قايماً بجانب سور المدرسة وبعد أن ودعت زميلاتى التى كانت تشاركنى مسيرتى تقدم نحوى بخطوات مترددة .. وبصوت أكثر ترددا .. «أريد أن أراك» .. إبتعدت عنه بسرعة .. ولكن الحقيقة كنت فرحة .. عصفور يغرد داخلى .. أول مرة فى

حياتي يطلب مني شاب أن يقابلني .. ومرت أيام .. لم أعد أراه .. لم أعد أبصر طيفه .. وذهبت إلى مكتب البريد .. لم أجده .. وابتسم زميله إبتسامة خبيثة وأنا أسأل عنه فلم أكن أعرف حتى إسمه ولكنه أجابني « قصدك الأستاذ حلمي إنه في أجازة سنوية » .. وعاد من جديد .. وعدت أحدثه ويحادثني .. ودعاني إلى جلسة في كازينو فوافقت .. أحببته لا أدري كيف .. ولكن كان حبا جارفاً متهوراً .. لم يلمس حتى أطراف أناملي .. لم يقبلني حتى لو أراد فلن أمنع نفسي عنه سأهبه كل عصارة قلبي من شوق ومن حنان .. وعاش حبه معي .. الحب الذى كان يواسيني في محنتي .. أبي والخادمة .. وصحوت من أحلامه وإشراقة الدنيا تحتويني بعد أن ودعته لم أكن أعرف أنه كان وداعا أخيرا إلا عندما إنزلقت قدمي على السلم وأحسست بطوفان هائل من العذاب يحتويني .. ساقي .. لا أدري ماذا حدث .. وبقيت ساقي في الجبس أياما .. أياما طويلة .. بعدها حاولت السير ولكن تدلقت العظام من جديد .. واحترنا واحتار معنا الأطباء .. وفي النهاية إنه السرطان .. أين ساقي .. أين إرادتي القوية .. هل دفنت معها في مقابر الامام .. مرت بي لحظة يأس بعد أن أفقت من البنج .. لم أصرخ ولكنني كنت أكتم آلامي وتماســـكت أريد أن أموت .. كنت أتابع مع نظرات الأطباء والممرضات المشفقة المرارة والآلام ... وتنهض أمي من جوارى عند رؤيتي وحيدة الساق وهي تحبس دموعها خارج الحجرة لتجهش بالبكاء .. كنت أسمع صوتها بل صرختها مع صفقة الباب .. وبقيت أياما في المستشفى إرادتي تعود

لى . . الإنسان ليس أعضاء منسقة ولكنه إرادة . . لا أحد يزورني . . لا أريد الشفقة من أحد . . ورأيت أخيراً وجه أخي عصام . . أول مرة يقبلني ينحني إلى بهامته الطويلة ورأيت عينيه تمتزج بدموعها الدهشة وهو يرى الإبتسامة تعلو شفتي . . إبتسامة الأمل . . كان يود أن يسألني . . كيف . . ومرت أيام أخرى وحضر أبي ودلف إلى الحجرة . . الخجل يكسى وجهه . . دموعه حبيسة وانكفأ على السرير يقبل مكان الساق المبتورة . . واندفع إلى أمي التي كانت تجلس بجواري وقبل يديها وبكى على حجرها كالطفل عندما يجد أمه المفضلة وحملت ذراعي الكليلتين ابن أختي الصغير ، وريالته ، يغطي رذاذها صفحة وجهي . . الجميع حولي يعانون الصدمة يحاولون استيعابها وهم يرون الإبتسامة تحلق على وجنتي على شفتي التأم شملهم المبعثر حول سريري وخيم الظلام ومن خلال طاقة نور تنبعث من الشباك . . قال والدي ، ساعدوني يا أولادي . لقد علمتنا بسمة سمير الكثير . . وعلمتنا إرادتها أكثر وأكثر ، كنت أسمعه . . وطائر يمرح . . لم يكن أحد يدري أن صورة حلمي أنت تعيش في مخيلتي . . حبه كان ينام هادئاً داخل صدري . . وانسابت إبتسامة مريحة هادئة تغطي كل ما بداخلي ودمعه تذيب كل ما عانيته . .

* * *



كلمة .. في بحيرة الحب الصامت

ولكنه يموج .. حبي صامت ولكنه يه...
حبي صامت ولكنه يغلي داخل قدوي الذي نح...
الأيام والسنون من صخورها المدببه .. حتى ...
الجأ اليه .. أحتمي داخل ضبات شعابه الـ...
من أنياب شاردة قاسية أبني فيه وقت وحدتي ...
شرودي .. قصور أحلامي .. فوق الـ...
وأعود للواقع فأجدني عارياً تماماً .. لا ...
يسامرني سوى الذكريات فأرجع الى كهفي .. ...
حنين . شغف بالحنـــين .. أرهب النظر...
المستطامة الساخرة .. أرغب قليلا من الدف...
الطمأنينة .. راحة البال .. أحتمي وحدي كا...
أحلامي لاتنتهي طيفها .. أتنسم منه شغف الـ...
لذعته .. سكرته .. تعبق داخلي رائحة أ...
الورود .. تترنم داخلي أرق الالحان .. أعذ...

حبي صامت

ذكرياتي .. آه يا ذكرياتي معها .. لا تموجي .. في...
عالية معذبة .. تتلاطم .. تتدافع لتكتسح نفسي تلك القشة الضـ...
المستسلمة .. ترفعها على السطح .. تحتويها .. ثم تنفضها لتقذف...
بعيداً .. بعيداً في بحيرة الحب الصامت .

عرفتها من خلال زياراتي لها .. لا أستطيع أن أصفها .. فقلـ...
سيعجز .. سيعجز عن وصف حنانها المتدفق .. همساتها الدافئة ...
خسارة أن تحمل مثل مشاعرها جسد إنسان .. إنها أقرب ماتكو...

نور .. نور داخل غلالة من ظلام الأحاسيس .. نهر في أرض العواطف الجدباء .. تنير ولا تظلم .. تروى ولا تظمأ تعطى ولا تأخذ .. تهب ولا تطلب مقابلا ..

عرفتها ولكن ذبت داخل حيرتي .. فما أنا .. وما هي . أنا صعلوك يخط بقلمه نبضات الإنسان في بيداء الأحزان وهي ملكة غير متوجة على عرش بيتها .. أنا وحيد .. وهي ضائق . أنا ضامر العواطف وهي مرهفة الأحاسيس ماذا أنا .. وماذا هي؟؟ أنا أحاول أن أطرق نافذة قلبها الذهبية بشعرة من رأسي . فلا تحس بطرقاتي .. تدوى داخلي .. هي متزوجة وأنا أعزب .. لا أرغب زواجها .. لكنى أسيرها .. أسير نظراتها .. حديثها .. أذوب داخل حيرتي .. نهاية ما يعتمل داخلي .. أسى .. أسى فما أنا وما هي ؟ .

وتمضى الأيام .. حبى صامت .. ولكنه صمت مهيب وجليل يجب أن أكون قربها .. قرب همساتها .. قلبها المتدفق .. لست قيس أو روميو .. ولكنى إنسان بداخلى كل الغرائز الدنيوية .. حب .. وكره .. وجشع .. وجنس .. قد أرغبها .. ماذا .. أريدها .. بجسدها برد فيها .. بشفتيها وماذا في ذلك ؟ . لكن ماذا بعد ؟ ماذا بعد كل ذلك ؟ شكواها أنين داخلي .. ألمها يعصرني . يعصرنى .. زوجها يقسو عليها .. يدفعها بقسوته إلى الحمق .. إلى الشكوى .. إلى الأنين . أسمعها وقلبي ينزف ماذا أستطيع ؟ . كيف أخفف عنها ؟ بكلمة نفاق .. معلهش . تحملى .



بلمسة من يدى تتخلل رأسها لتنام قطة أليفه بين أحضانى .. لا أدرى
لا أعرف .. ولكنها كانت فرصتى .. من خلالها أستطيع أن أ
لها عن كل ما يجول بخاطرى .. عن الورقة العطشى التى تهزها ر
الأمل والمطر فرصة وهبها لى القدر .. قدمها إلى فى طبق جميل بدا
كل الفواكه الدنيوية ، ولكننى رفضتها بكل ما بقى لى من إر
الإستسلام وفضحتنى عيناى . رعشة شفتى الصامته وشعاع عينيها يلم
داخل سؤالها المرئى :

— ألا تحبنى ..

إحترت .. بريق عينيها يتحدث .. يصارحنى .. إحترت
صامت .. جماله فى صمته المهيب .. لا يعلم به إلا الله وأنا ..
تقدمن .. تريد أن تعرف تستطلع مكنون داخلى وذابت حيرتى
حديثى الصامت لها :

— أحبك .. كيف !.

وضاع تساؤلها داخل غلالة من اليأس .. خار من الغموض

وابعدتنا الأيام .. ضاع كل منا داخل موجات بحر الحياة
بأنينها .. وأنا بعنادى وإصرارى أن يبقى حبى الصامت داخل بحير
الهادئة .. البحيرة التى تراكمت داخلها كل ذكرياتى .. ذكريات
المرة عن المرأة كم هى جميلة وكم هى قبيحة .. كم هى رشيقة
بأحاسيسها .. وكم هى مكتنزة برغباتها .

طوحتنى أمواج الحياة داخل بؤرتها لاكتشف أشياء جد

إكتشفت أنه لا يوجد حب بدون رغبة .. عرفت ذلك من خلال علاقتي بعطيات البنت الفتية الصغيرة التي كانت تهبني لحظات إستمتاع من خلال شبق جسدها العذري عرفت ذلك من خلال إرتواء كامل مع نادية السلاقوري زوجة تاجر العاديات تقابلني بروبها التيفذي أفلك عقدة حزامه لتستطلع عيناي التهمه جسدا بضا ناعما شهيا .. أسأل نفسي وأنا أمارس رغبتي معها .. كيف لتاجر عاديات أن يقتني مثل هذه اللوحة الحديثة .. ثم حبيبة مشرق المدرسة التي درست لي عملياً كل خفايا وفنون الجنس على سورة الرغبة . سنوات مرت وأنا بعيد عن عالمي في وادي الحرمان .. أزعق ولا تسمع صرختي .. إلى أن قابلتها من جديد لم يتغير فيها شيء إبتسامتها الشاردة .. وجهها المضيء .. إنها هي ولكنها إزدادت دفئاً ونضجا .. قلت لها بأسى .. بأمل :

— مضى وقت طويل .

لم ترد على ولكن نظراتها سكنت على بشرة وجهي تغسل مابداخلي وأنا أسألها :

— ألا تريدين إجابة لسؤالك الصامت ؟!

قالت بتساؤل دهش .. غريب :

— سؤال .. أي سؤال ؟ !

تمتمت بخيبة أمل مريرة :

— حقاً لقد مضى وقت طويل ..

وضاعت إجابتي . . لالم تضع ولكنني كتمتها داخلي حتى إجابتي



صامته فى بحيرة الحب .. أريد أن أحدثها بما أصارحها .. ولكننى لا أقدر .. إننى ضعيف متردد ماذا لو قلت لها أننى أحبك .. إنك قدرى .. رغبتى .. موســـوعة أفكارى .. وليكن ما يكون .. وليحدث مايحدث . لا يهمنى أن تتحطم جدران معبدها العالية علىكتهاف. لحبى أقوى من نفسى .. من إرادتى العاجزة المسجونة داخل رغبتى فى مصارحتها سأقول لها كلمتى حتى لا أموت وما زال بداخلى كلمة أريد وداعها .. سأقول حتى لا أموت وقلبى عطش من قطرة حنان منها .. لا أريد شيئاً .. إنما هى كلمة داخلى أريدها أن تتدفق داخل سكون بحيرة الحب الصامت لتثير موجاتها .. موجات الحياة داخلها ..

وقلتها فى المرة الثانية .. ولكن بعينى الصامته .. قلت لها : كم أحبك .. أنت حبى الاول والاخير .. الحب الذى لم ألمسه حتى الآن .. حب السحاب الذى لا تستطيع إلا أن تسكب عليه سهام نظراتك المتبلدة .. والهواء يطوحه الهوينا يتراقص به وهو بعيد .. بعيد عنك . قلت لها : كم أرغب أن تنام أفكارى اللاهثة داخل نبضات قلبك . وجاءتنى إجابتها .. إهمال ابتسامتها الساخرة وهى ترنو إلى .. تشرخ داخلى .. تدمينى فقلت لها من جديد :

— ما ذنبى .. ما ذنبى فى إحساس داخل لا أفهمه .. لا أعرفه إلا عندما يتقمص إرهاف أحاديثك يضنينى .. يذهب بعقلى .. بجسدى أتنقل به على خلوة مكان نائى أتعبد فيها على ذكرياتك ..

فما بقى لى من إرادة بات إستسلاما .. إستسلاماً لكلمتى . وضاعت صرخة نفسى .. ضاعت فى فضاء متراى وقابلتها من جديد .. كلمتى داخل حيرة الحب تريد أن تتدفق .. ولكن سداً منيعاً يمنعنى من الإقتراب منها .. وتلامست يدانا .. شعاع من نور يتدفق ليمسح ظلمات نفسى .. تملكتنى دهشة غريبة .. من كهرباء لمستها غريبه .. تكتسح داخلى ترجفنى .. يدها باردة . ولكن سلك الكهرباء العارى يحمل داخل برودة مسامه الأصفر شحنة الموت .. إهتزت يدى وأنا أضع كوب الشاى على منضدة الصالون .. يدى تفضحنى .. دقات قلبى السريعة المتلاحقة تفضحنى .. سعادتى أصبحت أكبر من آلامى .. من قدرى الذى خطت صفحاته السنون ..

وساءلت نفسى يومها لماذا لم أرها قبل أن تولد داخل خضم الحياة . فالإنسان يولد مرتين عندما تلده أمه وعندما تلد الحياة إرادته.. لماذا لم أعرفها وهى فراشة دائمة داخل جدران عذريتها .. لماذا تأخر ميلادى عنها سنوات طويلة لتتزوج بغيرى .. ليستمتع بها .. كم أكرهه .. ولكن ماذنبه ؟؟ غيره كان سيتزوجها . شعور داخلى يطوينى نحوه .. قد يكون كرها .. قد يكون ضيقاً متورماً بما أسمعه منها عن سوء معاملته لها .. إنه يطبق على فراشتى من أجنحتها الرقيقة .. يضعها فى كوب مقلوبه .. يسعد برؤيتها وهى تحاول الهرب داخل زجاجها المحكم .. يبتسم يضحك .. تنتشيه رؤيتها وهى تتخبط .. إنه يعذبها فكيف لا أحمل له شعور الكره إنه يمتلك الفراشة .. فكيف لا أحسده ..



لم يعاندني القدر .. إرادة الله ؟؟ لماذا أتعذب ؟ .. لم لا يعطينا كل ما نرغب ؟؟ لماذا نعرفنا إرادته بأسباب السعادة ولكنه يبعدنا عنها .. لماذا نمسك بها ثم تتسرب بين أصابعنا كحفنة مياه ؟ .. لماذا نحب .. ثم لماذا لا نتمكن من قطف ثمرة حبنا .. لماذا نعيش هكذا يسوقنا القدر إلى حيث لا ندرى .. إلى مستقبل لا نعلمه إلى ماضى لا نرضى عنه ؟؟ حكمة .. وأية حكمة هذه هى التى تحكم على الإنسان بالتعاسة .. تحرقه بالألم .. تضنيه بالسهر والعذاب ؟؟!

إنى أتعذب .. أريد أن أنفض عن نفسى خواطرى لافى السطور .. فقد أدميت الصفحات بقلمى كل قصة أكتبها .. أرى فى إحدى بطلاتها صورة منها .. ولكن ماذا بعد العذاب كلمة .. كلمة صغيرة أقولها لها .. أصارحها بها .. بعدها ستطمئن نفسى الشاردة .. كلمة واحدة تعذبنى أريد أن تشق ستار نفسى لفضاء المصارحة حيث الهواء النقى .. بعيداً عن وسادة الجنس الناعمة .. بعيداً عن تأوهات الغزل المفضوح إلى أفانين الأشجار .. إلى عصفورين يتراشقان بمنقاريهما .. يصدحان بصوتهما .. إلى السحاب إلى سرب من الطيور متمرح .. يمرح داخل غلالة رقيقة لا يحط على الأرض المليئة بالذنوب .. بشراسة المادة .. بضعتها .. بعدها يتقرر مصير حبى .. سأعرف نهايته أو بدايته .

وطلبت أن أراها .. كان حديثى لها بالتليفون .. وجلا .. خائفاً متردداً .. أمهلتنى .. أهملت إصرارى .. كدت أبكى وأنا أتوسل لها

أن أراها على إنفراد بعيدا عن جمود الجدران التي كثيراً ما جمعتنا داخلها .. أحسست أنها تهينني تهين حبي .. قلبي .. وهي ترفض متعللة بأعذار واهية .

ولكنني عنيد بإصراري .. بما أعانيه داخلي .. إرادتي تتحداها رغبتي .. لأحاول إقناعها .. وافقت . وعدونا سوياً في سيارتي نسبق أنفسنا .. لم أتحدث إليها وهي بجواري .. السعادة تضمني وإياها .. ولكنها سعادة مشربة بالقلق .. إلى أين ؟ . لا ندري ولكن السيارة تقطع الفراسخ والأميال .. نطويها .. وانتهينا إلى مفضى الهرم .. تخيرنا حجرين متقابلين .. الشمس تدمى الأفق بقرصها الأحمر .. قشه أخط بها على الرمال الصفراء خطوطاً متعرجه .. هيناها تصبان تساؤلاتها على وجهي .. هواء رطب .. لاحديث .. إنما وجيبه خافت ناعم .. الكلمة داخلي تهتز .. تتأرجح .. تتحدث من عيني .. من خطوط القشه المتعرجة .. المهزوزة .

فاجأتني بسؤالها :

ـــ عن أي شيء تريد حديثي

صمت .. التردد يعاودني .. قلبي يخفق بشدة .. جمعت كل حواسي في كلمتي .. بعد أن صهرتها داخلي أفراح قلبي .. أخبرتها بها .. نطقت بالكلمة التي اختبأت وراءها سنيناً وأياماً .. لم ترد .. ولكنها بكت .. بكاء طفل وديع هادىء .. دون تحيب .. ومن خلال دموعها توصلت إلى حديثها :



— وماذا بعد ؟

قلت لها وأنا أشفق عليها .. وعلى نفسي :

— لا أعلم .. ولكنها كلمة عاشت حبيسة نفسي .. سجينة قلبي .

قالت لي :

— كنت أعرفها .

— ولم تخبريني ! !

— وما جدوى ذلك ؟

— المصارحة هي الطريق الأمثل لراحة الإنسان

— أتود أن تسرق مالا تملك

— ولكنه قدر مكتوب .. لا يد لنا فيه .

— كلام مجانين .

— قد يكون الجنون هو الوسيلة الوحيدة لمعرفة الحقيقة التائهة .

— أمرك غريب .. ماذا تريد مني ؟

— لا أدري .. ولكن فلنترك القارب يسير في بحيرة حبنا الصامت .

— ستثور غضب أمواجها .. لتبتلع كل ما هو جميل .

— الأمواج تحرك الماء الراكد .. تجدد الحياة .

— ولكن قارب حبنا هش .. ستحطمه أول موجة عاتية .

— وسأسبح معك لنصل إلى شاطىء الأمان

— بل ستتركني أغرق وحدي لتنقذ بجلدك

— دونك الموت ..
— ستكون نهاية أبدية لكلينا .
— ولكن .. لهذه نهاية الحياة .
— تطلب المستحيل منى .
— المستحيل مع الأمل يصبح كصعود درجات السلم .
— ولكن العاجز لا يستطيع على درجة واحدة .. فكيف بدرجات
— سيهب حبنا الإرادة ليثب .
— إذا كان الأمل أكبر من طاقة الإرادة .. فسيتحطم عند أول محاولة
— تحاوريني .. كمياه فى جدول
— وأنت تعذبني كشرارة تحرق .
— والحل ؟
— ليس أمامنا من سبيل .
— تسدين فى وجهى منافذ الحياة
— الحياة مليئة بالمتناقضات .
— قد نستطيع بحبنا أن نذيبها
— لنعود من جديد إلى تناقض آخر
— تخيبين أملى فيك
— الأمل أن يعيش حبنا فى بحيرة الحب الصامت .
— وأعيش أنا معذبا



— ثمن الحب فادح

— قلتيهـــا .

وبكت .. دموعها تهرب من مآقيها إلى بحيرة الحب تحرك موجاتها الساكنة .

ثم قالت :

— تريد أن تحطم ما بقى لى من الحياة من معنى السلام مع أولادى وزوجى .

— لقد قلت منذ هنيهة أن ثمن الحب فادح

— هل أنا فقط ؟

— ماذا تقصدين ؟

— إنك لن تخسر شيئا

— التضحية .. هى الدماء التى ينبض بها الحب ..

— أنانية أن يضحى طرف دون آخر

— بدون التضحية يصبح الحب كالطعام والشراب .. حاجة نشبعها

— ومع ذلك فالطعام والشراب وسيلة المخلوق للحياة .

— مجنونة فلسفه

— ثق ياحبيبى .. أننى أريد حبك، أنا لا أرفضه ولكن كيف ؟.. كيف ؟ ...

— دعينا لا نستبق الحوادث

— ولكن النهاية ماثلة أمام بصيرتنا .. المجهول يتمخض عن وحش آخر مخيف

— سأحميك من هذا الوحش داخل عرين حبى

— كلام ينشر لفتاة مراهقة .

— كل هذه السنين ولم تخبريني ..

— إنك لا تحبني .. بل ترغبني ..

— الرغبة والحب توأمان ..

— وعندما تمتص رحيق رغبتك .. تموت زهرة حبك ..

— النحلة تمتص الرحيق ولكنها لا تزهدها ..

— ومع ذلك فهى تنتقل لأخرى ..

— حذار .. فأنت تتراقين فى حديثك .. فالرغبة ليست بديل الحب ..

— أعرف أنك ترغب قبلتى .. جسدى ولكن هذا سيبعدك عنى .

— إن القبلة تختصر آلاف الأميال فى برهة واحدة

— مجنون .. حديثك مجنون .

— لو قبل قيس ليلى .. لو عاشرها .. لما حدث له ما يحدث لى الآن .

— وستزهدنى .

— دائماً تخالفين رأيى .

— لست دابة تركبها .. وتهز سا[illegible]



— لن تهدأ نفسي .. إلا وأنت بين أحضاني أرتشف معك سعادة اللذة .

— أول مرة أعرف أن اللذة مصدر السعادة

— لأنك لم تجربي ..

— ولكن الرغبة تحرمني جمال الحب

— أبداً .. لا توقفت الحياة وعمرت الخليقة

— ولكنني لا أرغبك .. إنني أحبك .. ولا أريد لحبي أن يتوه داخل شعوذة الرغبات .

— عدت من جديد إلى الفلسفة .

— عندما تلد الرغبة الجنس يصبح عدواناً على المرأة من خلاله تتألم .. بينما يصيح الرجل صيحات الانتصار

— إنه يحاول إسعادها يطفئ بداخلها أتون رغبته ورغبتها .

— بل يحاول إيذاءها

— أصبحت السعادة عندك قرين العدوان .. لقد ضاعت المعايير .. كيف يجد الحبيب راحته في إيذاء من يحب

— كما تريد مني الآن أن أضحي من أجلك .. وأنت تنظر إلي بشفقة بعد أن تسكبي قطرات لذتك .

— لو كنت في موقفك .. لما ترددت .

— ولن تخسر شيئاً ..

— بالله عليك .. كيف أصل لإقناعك ..

ـ بأن أترك حبنا طاهرا عفيفا دون دنس الخطأ .

ـ لن تراني بعد اليوم إذا كانت هذه هي رغبتك .

ـ هكذا أنتم . . تريدون اقتحام جسد المرأة العادية بكل ما لديكم من أسلحة الدمار . . فإذا رفضنا العدوان صرختم محتجين . .

ـ الإحتجاج صورة باهتة للثورة على كل المثاليات البالية . . القديمة التي لم تعد تناسب العصر . .

ـ غريبة أصبح لكل عصر نوع من الحب .

ـ الحب لا يتغير من وقت لآخر . . وإنما المتغير هو ما يصاحبه من ظروف .

ـ أريد حبا صامتا . . في بحيرة الحب الصامت .

ـ لم يعد كذلك بعد أن صارحتك . .

ـ تريد مني الكثير . .

ـ ليس للحب حل وسط . . كل شيء أو لا شيء .

ـ قصدك حب كامل أو لا حب .

ـ بدأت تفرض المضمون . فمك . . ونهداك . . وخصرك . . و . .

ـ إنك تؤلب نفسي على نفسي .

ـ الصراع بداية تتمخض عنها دائما إرادة .

ـ قد لا تكون إرادة الاستسلام بل الفراق .

ـ إسكتي . . فهذه الكلمة تدميني . .

ـ إن رغبتك جارفة .

ـ إنها أقوى من الحياة . . من الحب . . من الموت . من كل ما ارتكبت من موبقات

— كل ما قلته معانى الوجود والعدم ، والرغبة لا تلد هذه المعانى .

— بدون الرغبة .. تصبح الحياة عدم .. والوجود صفر .. فالمخلوقات تتناسل بالرغبة وليس بالحب .

— ما يجمعنا هو الرغبة إذا ؟!

— الرغبة جذور شجرة الحب أحد أزهارها .

— ولكنك لا تجد الحب من خلال تحقيق رغبة .

— رغبة الله هى التى خلقت الإنسان .. سابقة على حبه .

— ولكن حبى أنا من نوع مختلف .. إنه حب السحاب .

— الرغبة كجذر الشجرة لا نراها .. ولكنها فى أعمق أعماقنا .. نرى فقط بعض زهورها وأوراقها .. الحب .

— أنت تسخر بكل ما تمكنه نفسى نحوك .

— سأقامر بسنة من عمرى .. فى مقابل ثمرة حبك .

— أنت إنسان مادى .. حواسك القريبـــة تمكنت من حواسك البعيدة .

— لذة الإنسان الحقيقية .. ما هى إلا تمرد عن حواسه البعيدة التى تبلورها مشاعره القريبة .

— كلام أجوف .. بالونه يفرقعها سن دبوس .

— هكذا أنت .. ترفضين حبى .

— لا والله .. ولكنى أخشاك .

— دعينى أخرس شفتى داخل قبلة منك .

— يا ويلى منك .. إنه حق غيرك .

ـ غيرى إشتراه بورقة وشهود وأنا اشتريته بحبي .
ـ إنه طريق رسمه الإله .
ـ وعواطفي الشرهة تجاهك .
ـ تستطيع أن تطفىء ظمأ عواطفك داخل أحراش المومسات .
ـ جربت كثيراً .. كنت أتهيأ في كل امرأة أنت بإنائي .. فلم أجن سوى السراب .
ـ إنه مصيري معك لو أطفأت داخلي نار رغبتك .
ـ إن ما بيننا ليس رغبة فقط .. ولكنه حب .. دعينا نروي ظمأ تربته بنقاط الماء الدافق ..
ـ ولنعطش من جديد .
ـ سأرويك حتى بقطرات دمي .
ـ كلام كتاب أغاني وأهازيج .
ـ إنني مشفق على نهايتنا .
ـ وأنا مشفقة على بدايتنا .
ـ انت أطلب منك المستحيل .
ـ هذا قدرنا .. خطته السنون .
ـ والعمل .
ـ أن نفترق إلى لقيا في نور ..
ـ في الظلام يضيع وجدان العاشقين أما في النور فيخبو داخل شعاعه سطوع الرغبات .
ـ الحب لا يزهو إلا داخل غلالة من نور .
ـ شعاع النور لا يحتاج لشعاع آخر يزهي به .



— البومة تنعق في الظلام ..

— وفي الليل يبدأ الصخب إلى مسامعي ..

— أنت في واد .. وأنا في واد آخر ..

— لأنني أريد من حبي الصامت .. حب صاخب ..

— أن تكلمني معها عبارات ..

— إذن فليس أمامنا من سبيل .

— هو ذلك .

وافترقنا .. وافترقنا .. ولكن عاش حبنا صامتاً .. هادئاً .. لا تحركه أمواج الرغبات داخل بحيرة القلب الصامت ..

* * *

جرس الباب يطرح على ذهني المرهق محاولة الوصول إلى نهاية القصة التي أعالجها سؤالا ملحاً .. فورياً .. من يدقه والساعة لم تتعد بعد عقاربها العاشرة ؟ هل هي إحدى المومسات بعد أن طردها أحد المترفين الذين تتكدس بهم شقق العمارة المفروشة أم زيارة ثقيلة غير متوقعة من صديقي محمد المنياوي . أم جارتي الإيطالية زوجة الفنان المغمور ترغب الثرثرة معي .. أم المكوجي الذي حذرته أمس أن يدق الجرس في هذا الوقت المتأخر من الليل ؟؟

معركته غير المتكافئة مع الصمت الذي يعم أرجاء الشقة تشتعل بقسوة رنته .. بضياع النهاية التي كانت قد بدأت تختمر داخل عقلي

المكدود ثم تخمد فور فتحى الباب وأنا أراها تطل بابتسامتها الخجول المترددة من وراء شفتيها الدقيقتين .. تتقدم نحو الصالة وأنا أبتعد بجسدى من فتحة الباب الموارب وكلمة الترحيب الروتينية « أهلا » وردها على « مفاجأة .. أليس كذلك » وتنتقل بعينيها من على قسماته وجهى الدهشة إلى المكتبة الرابضة فى مدخل الصالة لتحتوى كل ما على رفوفها عن تحف وأنتيكات .. إلى غزال شارد فى تابلوه معلق .. إلى حصن قديم تحيطه رمال داكنة وبعض النباتات البرية منقوش على فازة .. لتستقر أخيرا على تمثال لنمر متحفز لظبي تملكه الهلع والخوف .. تبتسم وهى تعاود النظر إلى وجهى .. تتمتم وهى تقول :

ـ كأنى أراك لأول مرة ..

حتى هذه اللحظة التى جلست فيها ذاتى لم تفارقنى دهشتى لحضورها المفاجىء .. لقد افترقنا منذ زمن بعيد .. لم أعد أراها أو أحفل بها .. ولكنها كانت تعيش فى كيانى .. فى داخلى .. فى أعمق أعماق ولم تعد هى الأخرى تهتم بى .. أصبح لقائى بها عابرا .. باردا ... صدفة فى الشارع فى النادى إيماءة رأس وابتسامة مصنوعة مسبوكة بداخلها كل العذاب .. عذاب المكاشفة التى ما زالت تموج بداخلى التى انطلقت من فى اتردد من جديد تصنع غلالة رقيقة يسمع وراءها هدير الموج العاتى . فماذا حملها إلى شقتى ؟ وتحاصرنى أفكار التى وهى تبتسم ثم وهى تخلع بإهمال عن كتفيها الشال المطرز ودفئها .

لتعاود الابتسامة من جديد تصورها فى ضحكة خاطفة وهى تجيب على سؤالى :

— كوكا .. لكن بالسودا !!

وضاعت إبتساماتها من خلال تقاطيع جادة .. مستسلمة وغمرها موجة حزن غريبة وهى تستطرد قائلة بصوت أنثوى .. عميق :

— إننى أريد أن أغرق داخل بحر لا قرار له .. وقبل ذلك لحظة توهان حتى لا أشعر فيها بغرق ..

وابتعدت بعينيها عن وجهى .. وشخص بصرها إلى التمثال .. وقد تملكها أسى .. وألم دفين .. ودمعتان ترقرقان داخل مقلتيها أشفقت عليها وأنا أقول لها :

— أزمة كمثل الأزمات .. ستمر بمشيئة الله .

— لقد قررت أن أهجر زاجى .

— ومعبدك وبيتك ؟ ! قلتها بسخرية .

— لقد سئمت كل شىء .. البيت .. والأولاد .. والمعبد .. وزاجى .. لست سوى بقرة يحلبها الجميع .. تدور فى ساقية تضربها عصا القدر فى قسوة وشراسة حتى لا تقف لحظات تسترد فيها أنفاسها المبهورة ومضت فترة صمت قصيرة قبل أن تستطرد قائلة بحدة :

— مرة واحدة أفعل ما أرغبه لا كما يريده الناس والمجتمع ..

— أخشى أن يكون قرارك تحت أزمة طارئة لو إنفكت لأصبح دون

أعمدة .. ولهوى كل شيء ..

ـ عجيبة ؟ ! لقد أصبحت الناصح الشفوق .. ماذا غـــيرك وبدل حالك ؟ !

ـ هذه القطة !!

شدت كلاتى إنتباهها وعواء القطة القريب حواسها وهى تتهادى الفر وتستقر على فخذى .. حاولت نانى أن قربت عليها إلا أنها رمتها بنظرة عدائية .. وفرت مسرعة قبل أن تلمســـها يداها لتختفى تحت الدارونج وهى تصوب إليها نظرات شاردة قاسية .

وناني تقول بإهمال :

ـ قطة براوى .

ثم استطردت قائلة :

ـ أول مرة أسمع أن قطة تغير ميول الناس .

ـ إنها أنيسة وحدتى هجرنى الجميع ما عداها .

ـ إننى لم أهجرك ..

ـ إذن فلماذا تسمين بعدك عنى .

ـ كل آذان وله أوان .

ـ أخشى أن تكون صلاة حينا قد فات أوانها ..

ـ يبقى نصليها قضاء .. قالت ذلك بتهكم غريب أعقبتها بابتسامة .. وميض إبتسامة :

ـ بعد أن مر عليها شهور .. دهر كامل .. تصبح بلا معنى بلا مضمون .



ـــ حديثك حديث غاضب أو زاهد ..

ـــ عندما يعاشر اليأس الأمل يلد الزهد .

ـــ إنني فى حاجة إليك .. فلا تغلق المنفذ الوحيد الذى أتنفس منه

ـــ إن حياتى فداء لأنفاسك الطاهرة . ولكن ..

وتركت مقعدها لتجلس بجوارى تحكم فى براحة يدها الرقيقة

تهمس لى بصوت أنثوى صاخب :

ـــ لا تتحدث كثيراً حتى لا أفيق من نشوتى .

ونهضت فجأة وهى تقول لى :

ـــ أين حجرة النوم ؟

أشرت إليها بأصبعى إلا أننى سحبتها من يدها وأنا أتمتم لها :

ـــ ليس قبل أن أعرف هذا التغير المفاجىء ...

جسدها يترنح .. يسترخى بجوارى فوق الشازلونج .. أتبين ملامح جماله الدافق ... يهز كيانى .. يشعل يصلى رغباتى غرائزه جحيما .. نارا .. هاهى أمامى مستسلمة بكل ذرة فى جسدها .. لحفنى لرغبتى القديمة فيها .. لطهارة جرح نفسى المتقيح .. تسل حرمانى .. تهدىء لواعج نفسى .. ولكن ماذا يتملكنى .. رغبة ورهبة أخشى أن لا أجدنفسى .. وجولتى وهى بين أحضانى .. أخاف أن لا أطعم حبها .. أشبعها وأن تصمنى بالعجز .. بالقصور فى تلبية رغبتها .

وعاودت سؤالها من جديد :

ـــ لم تجيبى على ؟ ؟

فزوت بوجهها بعيداً عني .. لا تريد حديثي .. وتمتمت وقد تملكتها رجفة غريبة .

— هل نسيت ؟

— لم أنس ولكن ..

فقاطعتني بحدة :

— ألم تكن منذ شهور تقبل يدي .. والآن تسألني ثم استطردت متسائلة :

— هل دفنت حبك . هل ماتت رغبتك ؟ ؟

— ولكن إستسلامك هذا السريع يحيرني ..

— إذن فبأي وسيلة ترغبون المـــرأة . . لا .. ليس الآن عشان خاطري .. ودموع .. دموع كاذبة ومخادعة .. إنك ترغبني وأنا أقدم إليك نفسي راضية . .

وفي تلك اللحظة التي تفوهت ها بتلك الكلمات دلفت القطة سمسم المحيرة .. تموء بتوحش وهي ترنو لثاني .. تقفز على فخذي .. أربت على فروها الناعم .. تهر .. تدور بذيلها دورات غير منتظمة .. تطويه . ترفعه ثم تتكسه تمسح بأسفل رقبتها حول راحـــة يدي المهملة .. تعض إحدى أصابعي عضة رقيقة ناعمة .. تقفز على كتفي .. تلامس برأسها رقبتي .. تقف على طرف الكرسي .. تتحفز ثم تقفز فجأة على مقعد ثاني . . التي يتملكها الرعب والخوف فتنتصب بقامتها في فزع وهي تصيح :

ـ إبعد هذه القطة الشرسة عني ..
وأمسكت بالقطة في هدوء .. وأغلقت عليها باب المطبخ .. والتي تهمس لي فور عودتي :
ـ لقد قررت أن أخون راجي .. فقلت لها بابتسامة خبيثة :
ـ مبروماً مقدماً لحجرك ؟؟
ـ لا .. بل مبروماً لي لحجره .. لوضع إرادتي في طريق اللاعودة إليه فكم من مرة إفترقنا إلى عودة جديدة وإلى اعتذار أقبله منه .
ـ ولكنه قد يسامحك على خيانتك .
ـ أجدى وسيلة لإجهاض رغبة التسامح .. الشعور بجسامة الخطأ .
ـ عدت للفلسفة .
ـ أبداً فما أريد شرحه أن راجي لا يتغاضى عن مثل هذا الخطأ الجسيم .
ـ ومن أدراك ؟؟
نظرت إلى بعتاب لين رقيق .. وانسحبت كغلالة من نور إلا أنني قلت لها قبل أن يتوارى جسدها داخل الحجرة :
ـ ولكن ماذا عني ؟
فأجابتني وهي تعاود مسيرة خطواتها نحو باب حجرة النوم :
ـ أنا لم أرتبط معك بأية وعود .
وسحبت جسدي وراءها وهي تتمتم لي :
ـ لا تنس الويسكي .. أريد أن أغرق معك .
وما أن أغلقت باب الحجرة حتى إنتابتني أحاسيس شتى بذيئة ..

هذه الروح التي هدتها .. عشقتها .. أمامي الآن رغبة أوربيا .. شهوة أنتفض بها . . جسدا ألمسه . صدرا أتحسسه . . شفاة أدغدها .. ولكن ماهذا الذي يضرب أحاسيسي؟ رهبة وخوف .. إن شفتيها لا تحرك كوامن رغبتي ولا جسدها الطري الناعم تحت يدي الخشنة ولا حنيني إليها ولا شغفي بها ما هذا ؟ . طوفان هائل من العذاب يحتويني . . وحش من الجبن والتردد يلتهمني . . شجرة عاقر أجزها فلا تؤتي ثمرة واضطجعت على السرير وهي تهمس لي :

— أطفىء النور . .

كيف . . ولم تكتمل رجولتي . . كيف وأنا خامــــل كالذراع المشلول فقلت لها وأنا أخطو خارج الحجرة :

— ألا تريدين أن تطعمي معي شيئاً .

دش ماء بارد . . يفيق جسدها الفائر الملتهب على رذاذه البارد وهي تتم :

— فلنؤجل ذلك .

إلا أنها عادت فاستطردت قائلة تحت إصرار خطواتي المسرعة خارج الحجرة :

— كما تريد ولكنني لن أبرح حجرة النوم .

وأكلت . . وأكلت . . وعدت من جديد أحمل بيدي الصينية بأطباقها الفارغة إلى المطبخ أفكر فيما آل إليه حالي لقد نسيت الرهبة والتردد لفترة قصيرة . . ولكن عادت إلى كل كوامن الخوف وأنا أجوب عبر الحجرات يشاد.. . أخرج المطبخ كحيوان

فى قفص .. أفكر .. أقدح ذهنى .. كلما فكرت فى اللحن الهادىء وقد أصبح جسدين يعتصرا اللذة.

كلمة حبنا وقد ذابت فى غريزة تهرس كل معانيها الجميلة .. رجولتى التى بدأت تهرب منى .. هل هذه النهاية .. نهاية القصة التى كنت أعاجلها وفجأة .. دوت صرخة بل صرخات .. واندفعت خارج المطبخ أهشم بقدمى المترنحة عدة أكواب على منضدة الانتريه.. إلى حجرة النوم .. لا أجد ماتى عارية تماماً .. تدفع بيديها القطة بعنف. وهى تهش صدرها العارى بأظافرها .. تزوم فى قسوة .. أمسكت بالقطة وهى تموء بوداعة بين يدى تقدمت إلى النافذة فتحتها .. صرخ تيار بارد .. ترددت قليلا .. ماتى ترتدى ملابسها .. تبكى .. نظرت إلى أسفل .. بينى وبين الأرض عشرة أدوار الدموع تطفر من عينى .. نفسى تتقطر حزناً إرتجفت تملكتنى مشاعر مختلفة .. والقطة تهر .. فروها الناعم .. جسدها اللين يستكين تحت وطأة أصابعى .. أرخيت قبضتى رأيتها تتدحرج .. تلف .. تدور فى الهواء .. وأغلقت النافذة ..

طربوش الزعيم



هل التاريخ

يعيد نفسه ؟ ؟ هذه القصة قديمة قدم الأرض التي وطئها الإنسان أصوغها اليوم علها تكون عظة للحاكم .. أى حاكم .. عظة للشعب .. أى شعب .. حتى ولو كان شعب الماو ماو .

باسم الله الشافى نبدأها ... !!

الطربوش غطاء رأس أحمر اللون فاقعه له زر أسود يعلوه فى محاذاة القفا .. توارث الناس ارتداءه بعد تعديل طفيف من الأتراك .. ارتداه الحكام وانتقلت عدواه إلى الباشوات ثم الأفندية .. فالخفراء بعد تغيير لونه ومكان زره .. فالعامة ثم السفرجيه .. وأخيراً انقرض ليصبح فى ذمة التاريخ ..

قرر «على السنكوح» أن يرتديه .. عله يصبح موضة العصر وصيحة فى عالم أزياء الرجال .. ولكن للأسف وجد الناس ينصبونه حاكما عليهم !! . وارتاع الرجل والآلاف تزحف إلى بيته الحقير فى درب صعادة .. ثم وهم يحملونه على أعناقهم إلى قصر الحاكم .. ويضعون على رأسه التاج الحاكمى المرصع بالجواهر .. يلمسه بيديه وقد غمرته الفرحة .. بهره كل ذلك .. لم يصدق نفسه وهم يهتفون .. يحيا الحاكم الجديد .. يحيا الحاكم الجديد ... وعندما إستفسر ممن اختاروه حاكما عن سبب ذلك الإختيار المفاجىء العظيم .. أجابوه إجابات مبهمة غامضة ، ولكنه عندما بحث ونقب تحقق لديه أنه يوجد أسطورة مؤداها أن شعب تلك الجزيرة يعبد الشعارات ولو كانت متمثلة فى أى رداء غريب .. وتعجب أكثر عندما رأى بعد أيام قليلة من تنصيبه

كثيراً من رؤوس المقربين وقد غطتها طرابيش صغيرة .. قالوا عنها أنها صفة الحكم فى تلك الجزيرة .

فرح وعلى السنكوح ، وقال ، جاء الفرج يا إبن السنكوح ، وبدأ على الفور يمارس مهنة الحاكم فى صبر ومعاناة إرتداء الطربوش فى حبكة حاكمية أمام الجماهير المحتشدة على جوانب الطريق فى الحر والقيظ وقطرات العرق تنصب على جبينه .. معاناة أن يظهر طربوشه منتصبا مكويا أحمر قانياً .. والناس مأخوذون .. مبهورون لهذا الطربوش الجديد .. حتى إذا ما خلا لنفسه خلعه ووضعه بحذائه .. ليرتديه من جديد كلما واجه الجماهير المحتشدة أمام قصره .. قصر الحاكم .. ومضت سنوات طويلة .. عقيمه .. بعدها جاء إليه معالى الوزير الأول حزينا باكيا .. يسكب دموعه فى قنينة من زجاج ويقول له :

— يا زعيمى .. يا قرة عين شعبك .. أنك اليوم وقد جمعت فى بوتقتى تلك الملونة مشاعر وأحاسيس الناس نحو طربوشك القانى .. لقد زهدوه بعد أن بلى وبهتت لونه وبعد أن إستهلك سعادتكم كل ما يحمله من معانى وشعارات سامية !!

فالنظام الذى تنمق به شراريب زره لم يعد يثير طبقة الكادحين .. والإتحاد الذى تحاول أن تجمع طوائف الشعب حوله قد ألفوه وملوه وغناء العمل الذى تكلف به خاطرك فى إرتدائه أصبح كترتيل قارىء المقابر .. لذلك فلم يعد ممكنا ومصانع العقل متوقفة إلا أن نجد

وسيلة أخرى تهز بها مشاعر الناس .. توقظهم من سباتهم العميق.
وقامت الدنيا .. واختلفت الآراء حول الوسيلة .. ولكنها إتفقت
على هدف واحد فقط .. لابد من طربوش جديد بمواصفات أخرى..
شعارات جديدة .. باسم آخر .. حتى لا تضيع هيبة الحكم وتنكسر عصاه
التى يهش وينش بها الزعيم الراعى على شعبه المسكين. وبدأ نقاش حاد..
من أين لهم بمواصفات الطربوش الجديد ؟! اجتماعات تلو اجتماعات ..
مناقشات .. ومحاورات .. ومشاورات عليا تثمر عن أمر جلل ..
وأخيراً أثمرت عقول الجهابذة عن نتيجة باهرة .. يجب الإتصال
بدولة أجنبية أبدت استعدادها لتوريد طربوش جديد بمواصفات
حديثة واستراح الزعيم والزبانية حوله .. فعما قريب سيرى الناس
طربوشاً زاهياً فاقع اللون والمعانى ولكن الناس فى حيرة .. يتملكهم
القلق .. يسألون عن المعـــانى الجديدة التى سيحملها الطربوش
الجديد .

واجتمع أكابر الجزيرة .. وأكابر الجزيرة فى هـذا العصر غير
أكابرهم فى عصور أخرى.. منهم لصوص مبادىء، وقطاع شعارات ..
جهلاء بأنفسهم .. لا يحفظون فى فمهم سوى كلمة نعم .. لا يعرفون
فى القاموس كلمة لا .. نسوها أو تناسوها بعد أن صحت بأمتيكة
السلطة إجتمع الأكابر بعد أن وصلتهم رسالة عاجلة تقول : « إنتظروا
الطربوش على أول سفينة قادمة » — وتدفقت الآلاف المؤلفة قلوبهم
بحب الحاكم الفريد ليستقبلوا الطربوش العظيم .. وما إن توقفت

لات السفينة حتى دوت المدافع بواحد وعشرين طلقة تحية الضيف العظيم !! وفرشوا الأرض الخضراء رمالا حمراء زاهية .. وعندما سألوا .. ولماذا الرمال الحمراء ؟! أجابوا حتى نمنع الحصبة الآتية مع ريح الغرب عن الناس !! والتأم شمل الكبار يتقدمهم حاكمهم على المركوح باستلام الطربوش .. صندوق أنيق أحمر يحتويه .. أخذوا يلفون حوله يلثمون جدرانه .. يسبحون بحمده مرة بالتراتيل ومرة بالأهازيج والأناشيد والأغاني وأتاوا بهات ونقلوه على ظهر عربة يقودها ستة من الخيول المطهمة إلى قصر الحاكم ، وعادت البسمة المفقودة من جديد للحاكم الفريد وهو يقص شريط الصندوق الأحمر إيذانا بفتحه .. وحوله الوزراء والكبراء وأصحاب السلطة والصولجان والمشاؤون المزورون عن الشعب المسكين المغلوب على أمره .. والسعادة والبشر يقفزان على وجوه الكل .. فغداً سيرتدي الحاكم أبي – الله وطربوشه الجديد ليخاطب الشعب العظيم في ذكرى أول هزيمة شنعاء التي سيحولها بمعاني طربوشه في عقول الناس إلى انتصار يقرب من إنتصار دعوة الأنبياء في العقول القاحلة .. أزاحوا الغطاء فانقلبت السحن وسكتت الألسن من خلال الدهشة !! فقد عثروا على قبعة حمراء داخل الصندوق !! وامتدت الأيدي تحمل القبعة كأنهم يحملون جثمان نبي .. يا لغرائب القدر فقد كانت القبعة تغطي حمامة بيضاء منهوشة رأسها مضرجة بالدماء .. وبجانبها حية رقطاء !!

واحتار المفسرون عن معنى كل هذا ؟؟ القبعة بدلا الطربوش،

ولكن ماذا وراء الحمامة المذبوحة والحية الرقطاء من حقيقة؟
وتعجبوا أكثر فقد فرشت العلبة برمال حمراء إمتزجت بدماء متجمدة .. واحتاروا وهم يسألون أنفسهم هل يمكن أن تمثل تلك القيمة التى غطت الحمامة المذبوحة والحية الرقطاء أم الحاكم الذهبية ؟؟

ونزل إلى الشارع منادى يصيح بأعلى صوته « يا أولاد الحلال، من يجد تفسيراً لذلك فليخبر به الحاكم فى قصره وله وعد بجائزة ثمينة .. قد تكون مركزا مرموقاً ووزيراً أو جابياً أو قائداً لطائفة. وتقاطر العلماء والحكماء والفقهاء على قصر الحاكم يشرحون ماوراء الرؤية .. إتفقوا على أن الحمامة ماهى إلا بومة والدم هو السلام .. والرمال الحمراء الأرض الطيبة التى تنبت أزهاراً .. والقيمة أبهى ما يرتديه الحاكم .. والحية رسالة السلام من الله إلى أرض شعب الجزيرة .

وجلس الحاكم على كرسى العرش يضحك مل‌ء شدقيه بعظمة ويرفع تسكره للكلمات .. وتنشيه تفسيرات العقول المأخوذة .. وفى قمة فرحته ونشوته تقدم أحدهم .. رجل أشيب .. لحيته طويلة كسنابل القمح الذهبية .. بشرة وجهه فى صفاء النور .. عيناه ثاقبتان ينظر بهما إلى الأفق البعيد .. وبين يديه كتاب ضخم أخذ يطوى صفحاته فى تؤده ومودة حتى إذا ما وصل إلى صفحة توقف عندها وأخذ يتمتم بهدوء ورويه كلاماً غير مفهوم .. وراح الحاكم منظر هذا الأشيب

فهو لم يألف مثل هذه السمات النورانية الهادئة فيمن يحيطونه فابتدره
قائلا بضيق مكبوت :

ـ من أنت ؟ ومن أذن لك بالمثول أمامى ؟

ـ ألم ترسل مناديا يطلب تفسيرا ما استعصى على جهابذة عصرك؟؟

ـ وأنت .. هل ثقلت بحقونك حتى لا ترى بسمتى تعود إلى ؟؟

ـ ألا تريد أن تسمع حديث الحق ؟؟

ـ خلاف ما أقنعونى به فهو باطل

ـ قد يكون حديثى موعظة لك ولمن يخلفك

إنعطف أذن الحاكم بمخاطب حديث الرجل وصاح فيه :

ـ وهل الحاكم فى حاجة إلى موعظة ؟.

ـ قبل أن يستشرى الداء إبحث له عن الدواء .

ـ لم يعد الكلام يفيد .. فالقيمة دواء شعبى الناجع

ـ ولكنك وجدت تحتها حمامة مذبوحة .

ـ عندما تصبح الحمامة بومة تنعق فى ظلام الخرائب والأطلال
فسفك دمها حلال !!

ـ الحقيقة غير ذلك .

ـ إجماع حكامى وكبراء شعبى لا يدانيه رأى فرد واحد

ـ نفاقا وزلفا ..

ـ إنك تبقى مثلهم منصبا ..



— المناصب زائلة .

— ماذا تريد مني ؟؟

— أن تعيد الهدية . . فتحتها يرقد السلام المذبوح

— ولكن الهدايا لا ترد

— إلا إذا أصبحت نكبة شعب ووصمة تاريخ

— سأملك بها المقادير لبلاد كثيرة لأصبح الإمبراطور الأعظم

— إنك مريض . . وسيعيد مرضك شعباً طيباً عريقا

— إئتوني برأسه .

وفور سماع صيحة الحاكم . . صلصلت السيوف . . ومنت الرماح أشرعتها . . وحاصروا الشيخ المهيب ولكن حماته سحابة مبتعدا عن قصره وذعر الحاكم . . وتشاءم لهذه الرؤيا . . فأحاطوه بالراقصات والمغنيات والخطابات وأهازيج الدفوف والثناء والحمد والشكر . . ينتشي . . ولكن مازالت الرؤيا تخلط داخله الآلام والضيق . . وبدا الآلاف المتوافقة على حب الدنانير والمتهوله براً على الجمال والحمير وبحراً على السفن تتوجه لقصر الحاكم يأكلون ويشربون وينهبون قوت الشعب الطيب يهتفون ملء حناجرهم بمقدار ما امتلأت بطونهم ويغادرون قصر الحاكم . . ليحل مكانهم طوائف أخرى يهللون ويكبرون لله والحاكم . . ثم الحاكم فقط . .

ولكن وعل السنكوح ، لم ينس حديث الشيخ . . فقد تخلت حروف

لمانه عبر جسور جهل عقله لتستقر في أعمق أعماقه .. تفجر داخله شلوطاً حيقة لا تسمعها دفوف الأكابر أو مزامير الأعوان.. وبدأ يجمع العيون ويرسل العساكر .. علهم يجدون ذلك الشيخ ليقتلوه حتى يستريح وتهدأ نفسه .. ولكن لا جدوى ولا فائدة كأن الشيخ من ملح وذاب .. ولم يعد أمامهم إلا أن يتعقبوا أعوانه في الحارات والبيوت والمساجد .. يجلدوهم .. يعذبوهم .. يشووا إرادتهم داخل نار العنف . وتملك الحاكم الغضب الجامح فما زال على حاله وازدادت قسوته وبدأ يخشى الناس كل الناس فيداخل كل منهم هذا الشيخ المهيب .. وانقسم الشعب على نفسه .. بعضهم يتعقب البعض الآخر ويتلصص عليه .. وضاعت الرحمة والشفقة وضاع السلام .. وحزن الأكابر لمرض الحاكم والتفوا حوله ينافقون عله وإذا الحاكم يرى الشيخ من جديد .. هو وحده الذي يسمعه وهو يقول له :

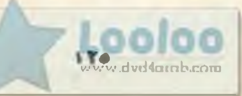
ــ أما زلت تصم أذنك عن كلمة الحق ؟

نظر الحاكم فيمن حوله .. لا أحد يسمع .. لا أحد يرى .. ويعدهم أن ينقذوه من هذا الشيخ .. واستقرت نظراته على الشيخ من جديد وهو يستطرد مؤكداً :

ــ إسمعني فكلمة الحق لا تؤذى .

ــ ماذا تريد ؟ !

ــ أترك بلدك إلى جزيرة الشمس .. هناك تشفى العلل ويزول السقم .. فأشعتها السحرية تحرق الآلام .



وانتفض الحاكم هلعاً . . فكيف له أن يترك شعبه . . واختفى الرجل . . وأمر الحاكم أن يجمعو مثل هذه الأشعة ليتداوى بها . . واحتار الأطباء والعلماء فلم يصل العلم بعد إلى مثل هذه المرحلة من التقدم . . ومن خلال عجزهم قدموا له قنينه كتب عليها « هنا ترقد أشعة جزيرة الشمس الذهبية » . إزدادت وطأة المرض على الحاكم . . واجتمع حوله الآكابر وأصحاب الثروات الهوائية يتدارسون كيف لهم أن يشفوا به همتهم . . وشيطان نقمة الناس . . وأشاروا إليه أن يرتدى قبعته المستوردة الحمراء الجديدة ويخطب فى الناس علّه ينسى متاعب مرضه من خلال صيحات الإعجاب والهتاف فارتدى قبعته المهدرة وبدأ يردد كلاماً ويدفن معه الثراء فى باطن الأرض ليسرقه سارقو القبور . . وطالب من الناس أن يرتدوا مثل قبعته وهتف كثير منهم « يا قبعة . . يا قبعة . . نحن لك إمعة » وفى اليوم التالى بدأت العقول تتفتق عن قبعات كثيرة وصغيرة وانقلب كثير من الناس بقدرة قادر من الطربوش إلى القبعة الحمراء . . وراج سوق ترزية القبعات بعد أن كسد لفترة طويلة . . وانتشرت القبعات وانتشر معها كل الرذائل الدنيوية . . وبدأ الخير ينحسر ، وأمواج الشر تكشر عن أنيابها فوق شاطىء الرمال الهادىء تهدم الحرث والنسل وتغطى الدماء مساحات من الأرض الخضراء ، ومن الصحراء ومن الجبال والوهاد ، وداعبت الشرور أرض النفاق ثم صادقتها فعاش النفاق قرين الشر . . كل يتغذى على الآخر . . وتولدت بينهما علاقات وثيقة . .

وفى خطبة الوداع . . خلع الحاكم قبعته . . وظهر أمام الناس

بيأ منهـــا خاسف البال ، بعينيه دموع وحى .. وأكنها دموع الخداع والتمثيل ، وامتلأت الشوارع الخاوية على عروشها بالنمل .. النمل الكثير فرادى وجماعات تلهث قطعانا بعضها مخدوع ، وبعضها مثل معه نفس التمثيلية الرديئة القذرة ، يبكون لا حزناً على احتمال فراقه ولكن خوفاً على أنفسهم من الضياع .. من الحقيقة عندما يتفتق عنها ثوب الكذب المرتوق ، وهم يتأوهون . لا تتركنا .. لا تتركنا ، وانتهت التمثيلية .. وارتدى الحاكم القبعة من جديد ، فعادت للشفاة البسمة الشاردة البارية .. وتعجب الحاكم عندما عاوده نفس الشيخ المهيب وزادت دهشته وهو يبصر أنامله البيضاء تقطر دماً أحمــــر فصاح فيه :

ـ من أنت ؟ وكيف دخلت حجرتى وعساكرى يحيطونها ؟ ؟

ـ أنا الناصح الأمين .

ـ ماذا تريد منى ؟

ـ أن تنعم بالهدوء والراحة .

ـ ولكن الناس يرغبونى .

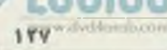
ـ الغمامة كثيفة والقمامة عفنة .

ـ سأجلو الحقيقة وأنظف الجزيرة .

ـ فشلت مع نفسك فكيف بالناس ؟!

ـ إنك تظلمنى وتنال من شأنى .

ـ الظلام الذى تعيش فيه أعمى بصيرتك عن الحقيقة .



— ليس ذنبي . . فهم يحبونني .

— غشاوة الخرف أو النفاق أو التزلف

— لقد فعلت الكثير من أجلهم

— ما فعلته من أجل عقده الأنا التي تملكتك .

— لقد عجز العقل المحلي فاستوردت القيمة لأحقق الرفاهية

— ماذا كنت تأمل في عقول حولها البطش إلى كالون صدىء

— لقد حققت العدالة الإجتماعية

— رفعت اللئيم ليحكم ، والغبي لينفذ ويطبق ، أذللت العزيز في بلده وغير بلده وأفقرت الغني ، فأثمرت بذور الحقد والكراهيـــة والعنف والثورة . . ماذا بقي بعد ذلك ؟؟

— الكثير . . الكثير جداً ، غداً ستنبت الأزهار .

— الأزهار لا تنبت على أرض سفكت عليها دماء طاهرة بريئة

— يوم الخلاص قريب عندما أتخلص من شراذم الشر حولي .

— محال . . بعد أن أصبحت في طوق قبضتهم . دميـــة تحركها أصابع قذرة . . قناع قبيح يختفون وراءه .

— لقد حققت المساواة .

— صورته الوحيدة اليوم إندثار الأخلاق . إعتقدت من خلال عقدة الإضطهاد والطبقية التي عانيتها أن ترفع واطيها إلى عاليها فجعلت من وهمك عاليها واطيها

— والوحدة التي كافحت من أجلها سنين طويلة ؟

— وحدة فى الشكل .. وتمزق فى مضمون المجتمع .

— والتحالف الذى صنعت له ميثاقا ؟

— مولود عاجز يحميه سيف السلطة .

— أمالى مريضة لم يفهمها غيرى

— عندما يصبح الأمل أكبر من طاقة الإنسان .. يدخل فى عداد الأوهام ، لقد حاولت أن تنصب نفسك حاكما على من لا حكم لك عليهم .

— كنت أريد الخير

— الخير لا يتحقق بوسائل الشر .. رب العائلة لا يعذب إبنه أو يقتله لاختلاف وجهة نظره معه .

— والسكك الكلبة تأكل أولادها حرصاً منها عليهم ومع ذلك فلا ينكر أحد أمومتها

— الكلاب فقط ! اقول أنت من فصيلتها ؟ !

— أنا أحب شعبى

— الديمقراطية هى دليل الإثبات الوحيد للحب الشريف

— ومع ذلك لم يعارضنى أحد

— حيأت فقد ذبحت رأى العرفاء .. فلم تعد تسمع سوى رأى السفهاء

— إذن فلماذا يحتفى الناس بى



ــ أرض الأفاق تنبت عليها كل أشواك الشر

ــ الناس سعداء . . راضون .

ــ ما صوره لك رفقاء السوء . . فلم تكلف خاطرك مرة أن تجول بقدميك داخل الأزقة والدروب والحارات لترى ما آل إليه حال الشعب الطيب .

ــ علمتهم صبر أيوب من خلال المعاناة .

ــ نعم . . وأغرقتهم فى المشاكل حتى تستأنسهم .

ــ عجيب من أمرك . . ألم أفعل شيئاً يستحق الذكر

ــ كنت شعاع الأمل . . وملاذ الفقراء . . فأصبحت اللبنة الأخيرة التى سددت بها ثغرة الأمل ليكتمل حائط الظلام .

ــ أنك تهذى

ــ قائل الحقيقة عندك إما مجنون أو مجرم ،فى مستشفى المجانين أو فى السجن الحربى .

ــ ماذا تريد منى ؟

ــ أن تترك الجزيرة

ــ ليس هروبى هو الوسيلة الوحيدة

ــ بداية الألف ميل . . خطوة أولى .

ــ سأحاكمك على مابدر منك .

ــ إذا أردت ذلك فعليك أن تحاكم نفسك .

فصاح الحاكم .. « اغلقوا الابواب .. ضعوا المتاريس ... لا تجعلوا هذا الرجل يفلت من أيديكم » ... وتقدم الحراس منصاعين للأمر الحاكمى .. ولكنهم لم يروا شيئاً وعادوا بعد ساعات وبين أياديهم رأس رجل أشيب .. وفرح الحاكم وهو يقول للأكابر « اليوم فقط أستطيع أن أهنأ بنومى » .

ومضت الايام وبدأ الحاكم ينسى كل ما مر به من أزمات طاحنة .. بدأ يألف حياته الجديدة . لم يعد يضايقه أنفاس الغضب فقـد كتم أفواهها .. لم تعد الشوكة التى غرزها فى جنب شعبه تخزه .. وبدأ قصره يضج من جديد براقصى السياسة .. والمال .. وفجأة عندما كان يتنزه وحده والقمر زاهياً على موعد أن يقابل بعض المتفرجين ليرقص أمامهم رقصة السياسة الجديدة عله يستطيع أن ينزع الشوكة من جنب ذلك الشعب الطيب وإذا بنفس الشيخ يقف أمامه فجأة فـرآه فى ذهول :

— من أين أتيت ؟؟ .. لقد قتلوك منذ شهور .

— جئت اليك لتودع الناس .

— لقد بدأت والناس تتعود على الحياة الجديدة ..

— سيألفون الحياة بدونك .

— بل سيذرفون دموعهم لفراق .

— نعم ، وسيشقون أرديتهم .



ـــ وهل يرضيك هذا ؟ !

ـــ إن النسيان أعظم ما وهبه الخالق للإنسان

ـــ إنك قاس .. فكيف تعاقبني على ذنب لم أرتكبه ؟

ـــ أو ليست مسئوليتك .

ـــ لا .. بل الطربوش أو من مجد الطربوش .

ـــ وأنت ؟ ؟

ـــ برىء .. براءة الذئب من دم بن يعقوب .

ـــ ولكنك أنت الذى إرتديت الطربوش .. وأغريت الناس بلونه الأحمر الفاقع

ـــ وهل يحدث ما حدث لو إرتديت الطربوش فى بلد لا يعبدون فيه الشعارات ؟

ـــ عدنا لقضية البيضة والكتكوت

ـــ كنت سعيداً بحياتى راضياً بها قبل أن أنصب حاكما .

ـــ وغدرت بهم

ـــ هم المسئولون . فقد كانوا يملكون إرادتهم

ـــ الإرادة التى إنصهر داخلهـــا الذل والضعف والرعة .. إرادة ناقصة

ـــ نصبونى حاكما فى جزيرة يحكمها قرد لو إرتدى نفس الطربوش

— الناس فى بلدنا .. بسطاء .. غرباء

— بل هم يصنعون التماثيل بأكفهم وحناجرهم وصراخهم ثم يعبدونها

— بل شعاراتك التى بهرت بها الناس ولم تنفذ منها شيئا .

— الشعارات صنعتها العقول

— الشعارات الزائفة تصنعها العقول الخاوية

— سيرفع غيرى من بعدى نفس هذه الشعارات ولكن تحت ستار رداء آخر قد يكون « عمة » أو طاقيه !!

— إقتنعت إذا أن ترحل ؟

— الطريق أمامى مسدود

— لقد هدمت كثيراً ولم يبق أمامك إلا أن تفتح ثغرة الأمل التى سددتها فى حائط الظلام .

— وهل رحيلى يحقق ذلك

— يستطيع بعدها غيرك أن يتسلل من كوة النور ليحقق للناس الخير .

— غيرى سيهدم كل شىء .. وأنا أخاف على ما بنيته ..



— عمارتك التى صنعها معك مهندسوك من جماجم الأموات يجب هدمها قبل أن تقضى مع أنقاضها على آلاف أخرى وملايين .

— سأذكرك يوماً أن طربوشاً آخر إرتداه غيرى .. فشعب الجزيرة هو شعب الشعارات

— وقد يحقق من خلاله ما عجزت أنت عنه .

— إن غداً لناظره قريب ! !

— هل لى فى سؤال قبل أن أرحل .. وتجيبنى عليه ؟ ؟

— أنا منصت لك ..

— من أنت ؟

— لن تجد الإجابة إلا فى جزيرة الشمس .

وقرر الحاكم أن يرحل بناء على نصيحة الشيخ المهيب لجزيرة الشمس .. بكامل إرادته ، ولكن بعد رحيله تبين له أن تلك الجزيرة لا تسع إلا لشخص واحد تحت قشرتها لهيب نار لا يهدأ وجوها خانق ومكتوم .. لا سماء فيها سوى سقف من الخشب البلوط .. لم تكن إذاً تلك جزيرة الشمس التى نصحه بها الشيخ المهيب إنما هى جزيرة النار المحرقة واشتكى الحاكم من تلك النار الموقدة التى تشوى جنبيه .. فتفجرت الأرض عن مياه عطنه خارجة من بئر قاذورات ، أوموا سير هادى وضاعت راحته وطمأنينته وحضره الشيخ المهيب وقد أمسك بيديه بنفس الكتاب الضخم ، وما إن رآه حتى إبتدره قائلا :

— أنت من جديد ؟

— نعم

— لقد وعدتني بالراحة فأين هي ؟

— قصدت راحة الناس وليست راحتك .

— أو ليست هذه جزيرة الشمس

— بل هي جزيرة الموت .

— ولكنك في الجنة وأنا في النار مع أننا شخص واحد .

فأجابه بابتسامة وضاءة :

— لأنني الضمير وأنت الشيطان .

وسكت على المنكوح وهو يرى الشيخ المهيب يطوى صفحات الكتاب حتى إذا ما وصل إلى آخر صفحة قرأ بصوت يملأه بحة الإيمان والأمل .

« النهاية .... والبداية »

لعلى المنكوح .. ولشعب الجزيرة .



ميمون



كان صلاح

يسير فى شارع فؤاد وقد التقت يده بيد إبنته . يتممن فى البحر الهائج من البشر وهم يسدون منافذ الهواء بينما راحت إبنته تتلصص بعينيها على فترينات لعب الأطفال وتوقفت خطاها .. تسمرت وهى تضرب الأرض بقدميها .. تشير على لعبة وتصيح مشدوهة :

— ميمون يا بابا ميمون !!

لم تكن اللعبة سوى قرد تتحرك يداه بعصاتين لتضربان على طبلة صغيرة جوفاء .. ثم رنت إليه وقالت برجاء :

— اشتريها لى يا بابا .. والنبى .. علشان خاطرى

وخطا داخل المحل .. وتوقف قليلا تعثرت خطواته .. إنها هى .. أمانى .. وبجوارها طفل صغير .. يشبهها .. كانت تفاصيل البائع فى بساطة وشجاعة .. ورآته .. لم تفاجأ به .. كأنه خيال المأته .. يراه عصفور ألف منظره . تسمة خفيفة حبلى بالذكريات تحتويه .. وهى تستدير تنسحب.. تنقل نظراتها بين اللعبة وبين صلاح .. تقارن بينهما .. تتحرك بخطوات وئيدة خارج المحل وهى تهمس للطفل .. يالللا يابنى اللعبة دى شفتها كتير ..

فى تلك اللحظة شعر صلاح بأنه لم يكن سوى ذلك القرد ميمون .. شعر بضآلته .. بالهوائع .. كأنه يريد أن يضعه بدلا عن اللعبة أمامه على الفترينة ليتفرج عليه الناس .. كما كانت تتفرج عليه أمانى وهى تقارن .. تعارى بنظراتها بينهما منذ لحظة ..

الذكريات تدق على طبلة رأسه الجوفاء دقات روتينية يحركها من الداخل بطارية شحنتها أحداث الماضي البعيد .

• • •

سلمه البواب بعد عودته ورقة صغيرة فهم بعد قراءتها أنها ليست سوى طلب إستدعاء إحتياط . . غادر شقته وهو يتعجب لهذه الظروف الغريبة ، فلم يتبق سوى أيام قليلة ويجمعه بأماني بيت واحد . . لقد أعدا كل شيء . . جهزا الشقة بكامل الأثاث حتى الثلاجة والتليفزيون وأدوات المطبخ . .

واشترت أماني ثوب الزفاف الأبيض ، وطبعت بطاقات الدعوة ، لم يبق إلا أن يبصم المأذون على عقد زواجهما . .

وفي طريقه إلى القطار كانت في وداعه . . وقد احتواهما صمت حائر حاول الحديث معها فتعثرت كلماته وهي ترمقه بعتاب لين رقيق تقول له بعينيها حتى الآن لا تعرف . . ودمعتان تنحدران على وجنتيها . . تذوبان داخل طيات منديلها وهي تقف وحيدة على رصيف المحطة تلوح بيدها مودعة والقطار يتحرك . وذاب طيفها داخل بعد الفضاء المترامي وجلس صلاح وقامة من الهموم تتراكم داخل رأسه . . قد يكون وداعه الأخير لها . . لماذا سألها ذلك السؤال السخيف ؟ وانتابه شعور بالوحدة والضياع وخيبة الأمل والقطار يتسابق وذكرياته . . إبتسم ، أول ابتسامة تطوف على شفتيه بعد أن ودعها . . شرارة تنحر صلب داخله . . ومضة تضيء ظلامه الدامس وضاعت بسمته الجنونة من خلال نظرة مختلسة لامرأة تجلس قبالته . . ولكن عندما عاودت النظر إليه

من جديد .. كان صلاح قد سحب مجلة .. لا يقرأ فيها ولكنه يضعها أمام عينيه ستاراً يحجب خلف صفحاتها قدسية أفكاره من إستطلاع الغرباء يصب فيها كل ذكرياته التي بدأت تطفو على سطح نفسه .. شريط من الذكريات يتحرك بطيئاً داخل سينما عقله .. عندما ذهب ليتعرف عليها وصوت والده الوهن يستحثه :

ــ البنت مؤدبة .. وأصلها طيب ، عمها شيخ طريقة شاذلية ووالدها موظف كبير بوزارة الصحة من أفاضل الناس .. متدين ومصلي .

وعندما اعترض بقوله : « طريقة أجدادنا هذه .. عفا عليها الزمن .

أجابه والده « لن تخسر شيئاً برؤيتها » . وأخته سعاد بتأييد غامر

ــ يا سلام .. يا صلاح .. البنت قمر ..

ووالده يكمل حديثها :

ــ يا ابني لا تحرمني من رغبتي الأخيرة .. أن أرى أولادك أحدهدهم .. أقبلهم .. أرى طفولتي فيهم ..

ثم وهو يستطرد قائلا :

ــ لقد تعديت الثلاثين .. فماذا تنتظر ؟؟ أراك مع الأيام يزداد تردده .. كفاياك صعلكة .. لا بد لك من الإستقرار .. ذهب إليها في مقر عملها وحب إستطلاع غريب يتملكه ، من هي ؟ هــل تختلف عن الأخريات !! وشيطانه يطل عليها من داخله وهو يصافحها ويتذكر كلمات والده :

ـ إذا كنت حقاً تريد الزواج ، فابحث عن فتاة لم تتورط معها فى علاقة . . أى علاقة . . فمثل هذه سبقك إليها كثيرون . . وان تكون الأول فى حياتها ، ولا الأخير .

ولكن بعد فترة قصيرة بدأ شيطانه يتسرب كالدخان ثم يذوب ويتلاشى وهو يتحدث إليها ويتصت لها . كان حديثها فوق . . فوق السحاب . . ليست مثل من سبقتها ، أنها صنف جديد من المخدوات يهوى معها العقل ليعيش فى قصور من الأحلام . . صنف ينقله من رشاء الحيش إلى ملمس الحرير الناعم . . كان يحاول أن يجد طريقة ... فى الإقناع وهو يحادثها وانصهر رقضة وإصراره داخل رقتها ونعومة حديثها إذن فلتكن تجربة . . تجربة جـــديدة . . لن يخسر من مزاولتها شيء . . وبعد أيام كانت الدبلة تزين يده اليمنى ومرت أيام الخطوبة . . خبرت فيها شوارع القاهرة دبيب أقدامهما على حد قول المغنواتى من السيدة لسيدنا الحسين . . من القطم الهرم . . من القيوم القناطر . . من الاسكندرية لأسوان . . ولكن جاء الوقت الذى يفترق فيه عنها . . مئات الأميال . .

وانتظم فور وصوله إلى الإسكندرية فى وحدة تقرر سفرها لليمن السعيد المخضب بالدماء . . واستطاع بصعوبة أن يحصل على أجازة قصيرة عاد فيها إلى القاهرة . . يحمله مع القطار جناحين من الشوق والحنين . . يعدو بهما ليسبق عجلات القطار إلى أمانى . . رفيقته . . مشروع زوجته .

عاد إلى القاهرة . . وعاد حلو أيامهما . . كل الوجوه سحاب قاتم لا يرى من خلاله سوى وجهها المضيء . . يعدوان معاً . . يمرحان . .



يتفتيان . . هى تحمل بداخلها براءة الأطفال . . وهو يئن تحت وطأة الوحشة والغربة القريبة . . فلم يعد باقياً من أجازته . . من عمره معها سوى ساعات يرحل بعدها للمجهول . . لبلاد الواق . . الواق .

أمضيا اليوم بعد أن كلت أياديهما من مجداف القارب فى كازينو «أفروديت» . . ذلك المكان الذى شهد مع سوره الطوبى الباهت . مع فروع أشجاره المتعانقة مع أمواج نيله الهادىء . . وهى تنصت لأحاديثهما بداية قصة . . ونهاية قصة . .

مرت ساعات وصلاح ينظر إلى قرص الشمس يحتويه الشفق الدامى . . عيناه تحتضن عينيها . . جسدها . . إبتسامتها الحنون . . يحاول أن يعرى داخلها ماذا سيحدث عندما يخبرها أن أحلامهما فى الحياة توقف أن حياته مرصودة على منضدة قمار القدر . . كان كالعشيق الذى يعرى عشيقته ، لا يعريها رغبة فيها بقدر ما يريدها أمامه سافرة بتنيات جسدها . . بتكور أو هزال ثدييها . . بجمال أو عيوب فخذيها . . يستكشف ما يحتمل داخلها وهو يخبرها فى هدوء بسفره فى الصباح إلى بلاد الواق . . الواق .

رأى إصفرار وجهها . . وإهتزاز يدها وهى ترتشف بقايا الشاى وتقول له بصوت مكتوم . . وقدمينا العاريتين تهرسان الحشيش الأخضر . .

ــ وآمالنا وأحلامنا .

نظر إلى الأرض كتلميذ يحاسبه مدرسه عن هفوة لم يرتكبها . . وبدا فى لحظات قليلة أنه بعيد عنها بعد عشرات الأميال . . يريد أن يهرب منها ومن يأس نظرتها ، إلا أنها إقتربت منه عقدها وحدت يدها تربت فى حنان على راحة يده المتقلصه وبريق من عينيها عمق داخله :

— لا تهتم .. لكن الفراق صعب يا صلاح .

وأطبق الصمت من جديد وصوتها وقد طوقته نشنجات الألم الحبيس :

— لقد فاجأتني وأخذت كل لحظات الحلوة في كلمة صغيرة .

— لم يكن لي الخيار ..

— كان أهون على نفسي أن تذهب حتى دون كلمة وداع

— لا تيأسي .. فلن تمض أيام إلا وأكون بجانبك .

— أيام ؟؟ كيف وأنا لا أطيق البعد حتى عن مساوئك ساعات ؟!!

— قدر مكتوب .

— كيف تسمح لهم أن يخطفوا أملنا وهو في مخاض الحقيقة الملموسة ..

— أغلال قيدنا بها .. وإلا قطعت أوصالنا .

— لن أدعك تذهب وحدك ..

— كيف ؟! وطلقات الرصاص وصيحات القتلى وأنين الجرحى .

— على الأقل نتزوج .

— والمجهول المظلم .

— مثلي كثيرات ينتظرن مع كل رسالة هذا الوحش

— لا تجعليني شريحة عذاب بين رحمة أحاسيسك ونصل الواجب .

— الواجب .. إنها حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل



— هه . . ومن يسمعك ؟ !
قالها بسخرية .
— خلاص . . أصمت الآذان ؟ !
— بل ضاعت الصيحات داخل أحراش الرفض .
— أنت لا تحبني . . تتعلل ما تسميه بالواجب على .
— لا أحب أن أوصم بالجبن .
— ولو . . فكفة الحياة أرجح عندما تزنها ووصمة الجبن في في ميزان العقل .
— إذن تظلمين المطاهر .
— سأتحدث مع خالي ليستبقيك في أي مستشفى .
— وسأفقد احترام الجميع . .
— شفيعك لديهم ظروفنا .
— وأنا . . ماذا على . . كيف أتوانى عن وقف نزف جرح أو إسعاف مصاب ؟
— غيرك يرفض ذلك إلا إذا قبض الأتعاب مقدما .
— مثل هؤلاء ماتت ضمائرهم على عتبة الشهرة والمال .
— انك لن تغير وجه القدر .
— ولكن قد أستطيع أن أخففه .
— دائماً هكذا . . لا تتغير . . كيف نسيت أنا ذلك ؟
— بالعكس . فقد تغيرت كثيرا بعد أن فجرت النور في قلبي . . فتلك كأصحاب الرسالات . .

— إنني لا يمكن أن أغيرك للأسوأ .

— لا تحملي هواء حبنا الذي يفسد لحظات إنفعالنا .

— إنك تحملني ما لا طاقة لي به . .

— أنا أعرف . . ولكن هذا قدرنا لا حيلة لنا فيه .

— إرادة المستسلم الذي يجد وسيلته في الهروب .

— لا تقسى علي .

— انك تهرب مني . . لقد حذروني منك عندما تقدمت لخطبتي . . قلها ولا تخشى . . انك لا تحبني . . علاقة عابرة كعلاقاتك السابقة

— كلمة الحب تداولت في أسواق الجنس الرخيص . . فما بيننا شيء آخر . . الوجود أو العدم . .

— فلتبق بجانبي إذن .

— ليس أمامنا إلا أن نفترق .

— هو الوداع ؟

— لن أغيب عليك . . أعدك .

سكت قليلا ثم استطرد :

— لا تبكي يا أماني . . لا تعذبيني . . فالندم لا تتم إلا بي رغبتك .

— ألن تحنث في وعدك ؟

— إذا عدت سالما فافتحي ذراعيك لنعوض معا تلك لحظات الفراق . . ولكن إذا لم أعد . .



ـ لا تقل ذلك فقلبي يخوص بين جنبي ..

ـ إذا لم أعد .. فلا تنسيني .. وانثرى على ذكراى زهور الموت الحزينة ..

ـ كفاية .. أنت قلبتها نكد ..

ولفهما الصمت من جديد . . وتلاقت نظراتهما فى قبلة خرساء ناعمة حائرة يحاولان من خلالها أن يلفظا التعـــاسة والآلام وصوته المندى بالانفعال المكبوت :

ـ لن تكون سوى رحلة قصيرة .. نحكى نوادرها لأولادنا . وابتسمت .. وابتسم صلاح .. ولكنها إبتسامات بصهرها وحش الخوف الموتور الذى يقف متربصاً على عتبة حياتهما . ولفهما الصمت من جديد .. وفجأت انتصبت أمامه بقامتها وهى تسحب يد صلاح وتقول :

ـ هيا بنا ..

وسألها بدهشة وإستغراب :

ـ الى أين ؟؟

ـ لا تسألنى .

رأى إصرارها وهى تحمل حقيبة يدها متيدة ، ونظرات المحيطين حولهما تطوقهما فى فضول وتساؤل بينما إنتصبت قامته وامتدت يده ليجمع حاجياته .. علبة السجائر .. والولاعة وسلسلة مفاتيحه .. يقول لها

ـــ ما زال أمامنا متسع من الوقت .

لم ترد عليه بل تابعت سيرتها وهو يخطو وراءها يطوق خطواتها يقف أمامها . . يسألها :

ـــ ماذا حدث . . هل أغضبتك ؟

أهملت إجابته ، وعيناها تتابع حركة الطريق فى فضول . . واتجهت إلى أول تاكسى يمر عليها وما أن استقلاه حتى قالت له :

ـــ قل للأسطى عن عنوان شقتك .

ـــ شقة . . أى شقة .

قالها بدهشة واستغراب . .

قالت وابتسامة تتحايل على شفتيها :

ـــ أحنط . . هو عندك شقة ثانية .

فأجابها بغباء مصطنع .

ـــ أفهم . . فقط أريد أن أفهم ؟

ـــ ليس وقته .

ونظر إليه السائق وابتسامة عارية من طرف فمه وهـــو يهمس منجباً :

ـــ ما تقول يابيه وتخلصنا .

واضطجع صلاح باستسلام غريب لأفكاره التى بدأت تنهشه . . إن أمال لم تدخل الشقة سوى مرة واحدة منذ شهور بصحبة والدها . . ألقى نظرة على الأثاث وديكور الشقة فماذا تريد الآن ؟؟ وأجاب



بهدوء غريب .

ـ سراى القبة يا أسطى .

وفى الطريق طلبت أمانى من السائق التوقف .. لتغادر التاكسى وهى تهمس . خمس دقائق يا صلاح . ثم عادت من جـديد وهى تحتضن بعض الاكياس قذفت بها داخل السيارة ليعاودا مسيرتهما من جديد .. وتساؤلات كثيرة داخله لا تجد إجابات وهى تدلف إلى الشقة ثم وهى تقول بينما تضع الاكياس على الترابيزة ونفس الإبتسامة تغمر شفتيها :

ـ لقد قررت أن أحتفى بك اليوم .

وبعد جولة صغيرة داخل حجرات الشقة .. تبدى ملاحظاتها على وضع الأثاث وألوان الديكور .. والثلاجة فى المطبخ أفضل .. وضع التليفزيون فى الأنتريه مناسب . مكان مراية التواليت أمام السرير تفضح .. تكمف !! اللون الرمادى للصالة قاتم .. الجرين أفضل .. حجرة النوم وردى .. والأولاد كريمى هادىء !! رآها بعد تلك الجولة من الملاحظات القليلة تسحبه من يده على المطبخ وهى تقول له :

ـ معايا .. فالـكمل لا يغنى ولا يسمن من جوع .. فمنذ ستين مضت وبعد أن ودع صلاح قرينه الغادلة .. وودع فيها أغلى امرأة فى الوجود تلك الأم التى إختارها الموت وهى فى ريعان شبابها وبعد أن ألف أطعمة الشغالات والمطاعم نسى دفء البيت والعائلة .. ولكنه

تشعر بأوصال الشقة المتجمدة يسرى بداخلها دفء حركة أماني وهي تجهز الطعام والأطباق والملاعق والشوك والسكاكين قبل يدها . أول مرة يتجرأ ويفعل ذلك .. لم تمانع .. بل تركت شفتيه تمرحان عليها .. وهي تجلس بجانبه على كنبة الأنتريه .. يحتسيان الشاي معاً .. في كل لمسة منه تمتمت بالامتنان .. وحاول الحديث ولكنها كممت فمه براحة يدها وهي تهمس له :

ـ الوقت أثمن من أن نضيعه في أحاديث عابرة وسؤال يطرح نفسه بشدة .. ما الفرق بينها وبين نادية سليط .. ما حدث منذ سنين يحدث الآن نفس جلستها وهي تستند بكلتا يديها على ظهر كنبة الأنتريه بصدرها الموتور .. بجسدها المستسلم .. بجفونها المسبلة .. يعلم أنها سترفض موجات جفنه كما كانت ترفض نادية في البداية .. بل ستبكي كما بكت وتقول له .. « حرام عليك .. ما زلت عذراء » .. مقاومة تشي واستسلام أكثر نشوة .. يشعر الرجل بقوته بسطارته .. بالفارس الملثم الذي يخطف حبيبته .. ويخطف عذريتها من خلال فرس جفنه الأشهب .. فبدون مقاومة المرأة لما شعر الرجل بتفوقه عليها ..

اختلف أماني عن سعاد الشربيني كانت تجلس بجانبه على نفس الأريكة وقد تعرت ساقاها .. وحاول تقبيلها لكنها صدته في دلال .. ولم ييأس فبدأ يسبك بخصلات شعرها ويدغدغ بشفتيه جسدها وبقايا مقاومتها ، وفي اللحظة التي تلامست شفتاهما قالت له « لا تعذبني » لأن يخلع كل قطعة من ملابسها وهي تبكي .. تتوسل أن يتركها لأنها لا تريد أن تخون زوجها .. ووجدته لتعود إليه من جديد ..



لتقاوم ولتستسلم كل مرة وتلك الصغيرة التي تعرف عليها في إحدى حفلات الكريسماس .. راقصها وراقصته ثم دعاها إلى شقته بينما انشغل أبواها في الاحتفاء بالمدعوين .. لم يعرفها إلا بعدأن خلعت قناعها التنكري عن وجهها .. ليعيش جسدها الصغير الأخضر لحظات جنس قاسية لذيذه .. وذابت داخله والعرق يتفصد من جبينها .. وجسدها .. ولحمها الطرى يتأوج تحت وطأة أصابعه .. وصراخها يعلو على صوت موسيقى البيك آب الهادئة .. وهى تطلب المزيد .. المزيد من نشوة الجنس .. والصراخ . لا تشبع ولا تهدأ كأن بداخلها سعير نار لا يطفئه جردل واحد من المياه .. وهمست له من خلال شبقها .. المهم أن أكون بين المدعوين قبل أن ينتهى الكريسماس .. وقبل ذلك بكثير كان قد زهد إستسلامها السريع ، ورغبتها المتجددة التى لا تنطفأ .. لم يسألها يومها .. من قطف ثمرة نهدها الثانوى أول مرة .. وعندما سألها عن عنوانها وإسمها ضحكت وهى تودعه وشعرها يسترسل خارج السيارة يتطاير وتهمس له .. قد تجمعنى بك صدفة أخرى فى وقت آخر ..

وإنجى هانم زوجة عبد الحليم بك المستشار .. عرضت عليه أن توصله بسيارتها بعد أن أعطى إبنتها حكناً إثر عمليـة الزائدة التى أجراها لها فى عيادته .. واستقل معها السيارة .. واختصرت معه المسافة وهى تقول : « لن أرفض لك دعوتك .. سأشرب معك الشاى » .

وشربت معه .. ولكن ويسكى بالصودا .. كانت نوع نادر ..

كالزهور النادرة التي لا تنبت إلا في تربة جيدة بمواصفات فريدة ..
جسد لم ينجب أولادا بالرغم من أن لديها ثلاث منهم .. امرأة ناضجة ترفعك وأنت في أحضانها إلى أعلى .. أعلى السحاب فتشعرك بحقارة المادة وتفاهتها ثم تنزل بك إلى أسفل .. أسفل الدرك والمجون .. فتشعرك بقيمة اللذة الحسية .. ماجنة تفعل المستحيل لإرضائك لإشباع رغبتك .. لتتبعها .. لتصل بك إلى أعلى الأعالي أو إلى أعمق الأعماق ..
لم تكن سهلة .. فقد قاومته .. ألح عليها ولكنها رفضت .. ولكنها عادت لتلبي نداء جنسها الموتور .. كل ما طلبته منه أن يخبر زوجها أنها كانت تبيت الليلة مع إبنتها في عيادته .

كل امرأة أو فتاة قابلها كانت تقاومه ..

والسؤال يطرح من جديد نفسه بشدة .. ما الفرق بين أماني وبين كل من قابلهن ؟ هل كان والده على صواب ؟ ! بعد ساعات سيعبر أمواج البحر ليتقابل والموت . قد تكون أماني آخر فتاة يتقابل معها .. الحنين يدفعه إليها .. يريد أن يقبلها .. فقد تكون آخر قبلة .. الضياع يحتويه .. أنه يذرف من داخله دموعه الحبيسة .. بل دماء يسيلها منقار الماضي المعقوف . قبلها فلم تقاوم .. أراد أن يحدثها . فتكلمت له من جديد وهي تقول له .. ولا تضيع أجمل لحظاتنا .. وقبلها من جديد .. يحضنها يشكل جسدها بيديه .. لهيب الفرن يرتفع ليحتوى بداخله العواطف المحمومة .. ليفرزها ناضجة .. وصانع الحب .. بلذته .. بشوقه بشغفه .. يلهبها .. تندفع إليه خجلى .. تترنح على جسده .. ليتوحدا كياناً واحداً .. أنه يخشى الضياع يريد أن يسجن أشباح الماضي ..

نادية .. وتلميذة الثانوى وأنجى وهانم .. كل من قابلهن .. ولكن أمانى تطلق بجسدها الفتى السمين .. بذديها المفرطين فى السمنة بهمساتها الهادئة الصاخبة تلك الأشباح المرعوشة .. الرعشة من جن الماضى إلى سرير اللحظة .. توحى له بالكلمة التى لم تقلها ... أحبك .. أحبك يا صلاح .. تفك قيود كلمات والدة من عقالها . اذا كنت تريد الزواج فابحث عن فتاة لم تتورط معها فى علاقة .. فتل هذه سبقك إليها كثيرون ولن تكون الأول فى حياتها ولا الأخير ..

آخر أمل



الزهور

نباتات جميلة ورقيقة وضعيفة . . ولأنها جميلة فلا يمكن أن نسقيها ماء مالح وإلا ذبلت ، ولأنها رقيقة فهي سريعة الذبول لو واجهتها عاصفة ، ولأنها ضعيفة لا حول لها ولا قوة فهي في حاجة دائماً إلى يد جنايني حنون ترعاها وتساعدها . وإلا قطفتها الأيدي المفترسة وداست أوراقهـــا الأقدام المتوحشة . .

وأنا زهرة صغيرة ولكن متفتحة . . عدت من مدرستي بعد يوم شاق طويل . . حصة تلو حصة . . درس وراء درس . . وجوه تتكرر . . وأصوات تتغير . . بعضها رقيق ، والآخر همجي . . أحب المدرسة لأنني أجد فيهـــا سلوتي من التلاميذ . . نلعب . . نتضاحك . . نتحاكى . . نجرى في الحوش الضيق الذي خنقوا مساحته بالمباني الجديدة . . نتلاعب بفكه الحديث . . ولكنني أكره الحساب . . أكره أن أضرب أخماساً في أسداس . . أكره أن تشلني مدرستي من سرحاتي القصيرة وهي تشير إلى مسطرتها الحادة لأقف بين أقراني لأحل المسأله الصعبة . . أكره أن أكتب أسماء التلاميذ المشاغبين على السبورة عندما تطلب مني المدرسة ذلك أثنـــاء غيابها . . فأنا أحب زملائي . . ولا أحب أن أرى المسطرة تهوى على أكفهم الهشة ودموعهم . . ونظراتهم المتوعدة . . ولكن ماذا أفعل وعصود وطارق وهشام يضربون بنصيحتي عرض الحائط

عليهم . . بشقاوتهم .. لا أريد أن أكون كبش فداء عصا مدرستي ..

إبتسمت وسيارة المدرسة الهالكة تقفز حفر وسدود الشوارع والتي تسربن في فضول ولكنني لم أجبها . . أليس من حقي أن أحتفظ لنفسي ببعض ذكرياتي ؟؟ هكذا يقول أبي .

كم كان اليوم طويل وشاق .. لم يرفه عنا سوى حصة مدرستي إنعام .. فقد كان طفلها الرضيع معهـــا . . صحبته لأن الشغالة هجرتها .. إنه يبتسم .. حلو التقاطيع .. لكم أتمنى أن يكون لي أخ مثله .. لقد تجرأت وطلبت منها أن أقبله .. أحسست برغبة ملحة عنيفة قوية في تقبيله .. لا أعلم لماذا .. وقبلته .. فصرخ .. لم أفعل له شيئاً .. وتضايقت لأن بسمته ضاعت من داخلي .. وعدت إلى مكاني وقد تملكتني خيبة مريرة . . والتف الأطفال حوله .. كل يرغب قبلته مثلي .. والنبي يا أبلة .. مرة واحدة يا أبلة ..

وضاعت صرخاتهم المتوسلة ومدرستي تلقمه البزازة .. وانتهت الحصة .

لم يتبق سوى الحصة الأخيرة . . بعدها أعود إلى بيتي .. حيث الوحدة وصراخ أمي وهي تساعدني في واجباتي المدرسية . . قلم الحبر سرقه مني محمود . .

سيضايق ذلك بابا .. شكوت لمدرستي لم تسمع فهي مرهقة .. مشغولة بجمع كراساتها وكتبها في إنتظار ساعة الإفراج النهائي .. ونسيت ونحن نغفو والصمت الهادىء إلا من ثرثرات متفرقة .. وفق

الجرس وانتفضنا نعدو على السلالم .. الكبار يدفعون الصغار فى ... الوصول إلى السيارة .. أنا حزينة فالقلم ضاع منى .. ليس لدى أدنى رغبة فى الطعام .. فى المذاكرة .. أريد أن أنام .. ولا أستيقظ إلا فى صباح اليوم التالى .

لم أدر إلا ويد المدرسة تهزنى من غفوتى . وصوتها يتماوج ليتسلل النعاس من داخلى . هيا .. يا هاله .

تكاسل سخيف يشملنى .. أريد أن أكمل غفوتى .. فى أى مكان حتى على سلم العمارة .. وحملت حقيبتى .. كم هى ثقيلة .. وخطوت على السلالم إصبعى على الجرس .. وأطل على وجه والدى وهو يفتح الباب قسمات وجهه قلقة .. وهو يقول لى . تأخرت ياهاى .

لا أدرى لماذا يناديني بهذا الإسم .. لا أدرى سبب قلقه وخطر على ذهنى أن يكون قد عرف بالقلم الضائع .. وسألته . أنت زعلان منى يا بابا . لم يجبنى .. لم يقبلنى كعادته ..

وأسرعت فى الردهة الطويلة .. أرمى بالحقيبة على أول مقعد يقابلنى . كم عبء حملها ثقيل .. ولكن الأثقل منه حمل كل مابها داخل عقلى الصغير .. أسرعت أرغب قبلة أمى فقد تسرى عنا بى من ضيق .. سأطلب منها أن أؤجل طعامى .. نفسى « مسدودة » لا ليس كذلك .. أنا أريدها أن تهتم بى أكثر .. وأن تلح على وترجونى بعذ « خاطرى ياهاى » وتقبلنى .. وتمسك الشوكة المعلقة على قطعه من ... حم .. وهى تبتسم .. تصنع إبتسامة « فرحيها » أرغبها

لكنى أقضمها متأففه .. وعينا أبى محتجان على تصرفى .. توقفت
صوت والدى يلاحقنى « ماما فى المستشفى يا هاى » .. تراجعت ..
قلص قلبى من الداخل « مستشفى » ؟ وابتسم لى .. أول ابتسامة تزور
شفتيه وهو يتمتم لى « ألا تريدين أخاً ؟ وتعلقت فى رقبته .. أرتمى
بجسدى الهش بين ذراعيه وأنا أهمس « ياماما .. ياحبيبتى .. ياماما
م سألته « ويبقى لى أخ » .

فأجابنى بهدوء .. « أخ .. أخت .. المهم تقوم بالسلامة » .

غمرتنى الفرحة ولكن سرعان ما تسربت من داخلى .. وتضايقت
أن والدى رفض تلبية رغبتى .. أن أصحبه ، وأسرع يخطـو
خارج الشقة .. يغلق بابها بالمفتاح .. يلوح لى بيده من السيارة ..
سابق بها أمواج النيل .. الزمن .. يغيب عن خاطرى عن ناظرى ..
وأنا أبتسم . كنت شجاعة وأنا أقول له قبل أن يذهب « لاتخف على
بابا ولكن أريد أخاً له عينين خضراوين مثلك أخاً أحمده ..
أحمله على يدى .. أقبله وعندما يكبر سيذهب معى إلى المدرسة ..
وسأرعاه وإذا اشتكى لى من زميل له .. سأضرب المعتدى .. لا ..
ليس من طبعى القسوة .. سأعاتبه .. سأشكيه للمدرسة » .

أصبحت وحيدة الآن .. لا جديد فأنا أعيشها منذ زمن بعيد ..
منذ اللحظة التى منعنى والدى من زيارة صديقتى « فرانيرو » التى تقطن فى
العمارة المجاورة .. لكن ذلك حدث منذ سنين مضت وأنا أعى الآن ..
لا يستطيع أى إنسان أن يخطفنى .. إنها مرة واحدة يتيمة أن تعود ..
منذ حاول رجل مجهول إدعى أنه صـديق والدى خطف طلب



منى أن أصحبه عندما كنت على مع وعد «فرافيرو» . ولكنه مر
إثر صيحات البواب وهو يتعقبه . . وضربنى والدى بقسوة . .
لم أفهم لماذا يضربنى ؟ لم أفهم ما هو الخطأ ؟ ! ضربنى أبى وهو
يقول لى : أنا أحبك . كنت أسأل نفسى كيف يضرب الإنسان من
يحب ؟ . كيف يجتمع النقيضان ؟ لم أفهم يومها معنى الخطأ
والصواب . . ما وراء الخطأ ، وما وراء الصواب .

ولكننى أصبحت أخاف من أى رجل يحدثنى . . أخاف أن
يخطفنى . ومن يومها وأنا وحيدة . . فلم يعد « فرافيرو » يزورنا
بعد أن امتنعت عن زيارته .

سيكون لى أخ يملأ على البيت . . ألعب معه . . سأعطيه كل لعبى
بعد أن كبرت عليها . . سأفتح حصالتى وأشترى له هدية حلوة
« عروسة » . . لا . . بل شخشيخة لقد وعدنى والدى أن يعود وماما
تحمل على يديها أخى الصغير . . ولكن ما أدرانى أن يكون المولود
ولد . . ليس أمامى غير تلك الزهرة التى تنام فى أحضان صحبتها داخل
الفازة أسألها « ولد أو بنت » أخبرتنى الورقة الأخيرة أن المولود ولد
فرحت . . الجرس يدق . . ليس جرس المنبه . . ولكنه جرس الباب
أسرعت . . أحاول فتحه . . لقد نسيت . . لقد أغلقه والدى بالمفتاح
وسؤالى الحائر خلف الباب :

— من ؟

وجاءنى الرد خافتاً من وراء الباب .

— المكوجى .

ـ الباب موصد .

ـ الحساب عشرة قروش .

وصحت بأعلى صوتى .

ـ إننى أقول لك إن الباب موصد . . أحضر المكوى عندما يعود والدى وأخى قامى سنلد اليوم .

ـ متى ؟

احترت . . متى يحضر والدى . . لقد وعدنى ألا يتأخر كثير .

فقلت :

ـ بعد ساعة تقريباً . .

وجاءنى الصوت من جديد :

ـ ليس معى ساعة .

فصحت بحدة .

ـ أنت أطرش . . إننى لا أسألك عن الوقت .

ـ آه . . فهمت . .

سمعت تلك الكلمات وخطواته تذوب على السلالم . فعدت أدراجى من جديد وأنا أبتسم ، إنه لم يفهم شيئاً ، .

لقد وعدت والدى اليوم أن لا أخاف . . أريد أن أحقق وعدى هذه المرة . . لقد قلت له ، لا تخشى وجودى وحدى ، وعندما بدأ شكه يذوب داخل تقاسيم وجهه عدت فأكدت عليه قائلة ، صدقنى يا بابا هذه المرة . . فلن أخاف وعدى معك ، . هو يعرف أننى كثيرا ما أخلفت وعودى فقد وعدته العام الماضى أن أكون من الخمس الأوائل

ولكنني لم أستطع . . وقبل أيام إتهمني بأنني أهمل أدواتي وأقلامي وعودي بالمحافظة عليها بعد أن ضاعت المسطرة ، ومزق محمود يد الشنطة بالموسي . . واليوم ضاع القلم الباركر . . ولكن ماذا أفعل تجاه أمور خارجة عن إرادتي . . الأطفال يسرقون الأدوات والسندوتشات وكل شيء . . ولكنني لا أفعل مثلهم . . والدي يمنعني عن السرقة . . يقول أنها حرام . . وأن الله يعاقبنا على إتيانها . . ولكن إذا كان ذلك صحيح . . فلماذا لا يتعظ الأطفال ؟ ؟ لقد طالب والدي بأن أمزق حقيبة محمود فالسن بالسن والبادي أظلم . . . وعقدت العزم على تنفيذ رغبته . . علم أغادر الفصل في الفسحة . . ولكنني تراجعت في اللحظة الأخيرة والموسي وحقيبة محمود بين يدي . وقررت أن أكذب عليه . . ولكن الكذب حرام . . والذي يكذب مأواه نار جهنم . . ولكنها كذبة بيضاء أستعيد بها حقيبتي الجديدة . . بديلا عن تلك القديمة التي أعطاني إياها ليعاقبني إلى أن أمزق حقيبة محمود . . والتي أشعر معها بالخجل وزملائي يتهامسون .. يتضاحكون على منظرها الغريب وهي لا تسع كل الكتب التي أحمل بعضها بيدي .. وعمتها ثقة وأنا أكذب عليه . . وسألته يرسها حتى أعطى الكذبة ثوبها المتكامل . وهو يمد يده لي بالحقيبة الجديدة .

— حقيقي يا بابا لازم الواحد يأخذ حقه بيده .

فأجابني .

— ضروري .. ضروري ياحامي . . فالضعيف يأكله الأقوياء .

ــ ولكن إذا كان خصمى أكبر منى

فأجابنى وهو يشير بأصبع يده على رأسى .. يلمسه :

ــ القوة يا بنتى ليست فى الجسد .. ولكن فى الدماغ .

لم أفهم الفرق .. هل يقصد الرأس الكبير عندما يناطح الرأس الصغير ؟؟ ..

لا أدرى .

وبالرغم من كل ذلك فأنا أحب أبى .. أحبه عندما يحنو على .. أحبه لأنه نادرا ما يرفض طلباتى .. أحبه عندما يزجرنى لأكمل طعامى بعد الإنتهاء من معركة الواجب المدرسى مع أمى .. ولكننى أشعر أنه يحيطنى داخل نسيجه .. ميوله .. رغباته .. آماله .. يريدنى جزءاً منه ولكن أكثر رونقاً .. أكثر إشعاعاً .. غير راضى عن آماله التى حققها .. كل أمل يحققه يصبح صغيراً .. صغيراً جـداً بعد تحقيقه فيتناول مع أمل آخر .. إنه جذوة .. شعلة .. وهو يريدنى مثله لا أرضى عن آمالى التى أحققها مهما كانت كبيرة .. فهى تافهة بعد أن أصل اليها .

وكثيراً ما أحاول أن أخرج من حصار أفكاره التى فرضها على ولكنه يقابل ذلك باستنكار تقاطيع وجهه .. عينيه .. شفتيه .. فمنذ أيام رأيت رجلا عاجزا يسير على عكازين وقد إلتوى أحد قدميه ..



قدمت إليه أريد أن أعطيه قرشاً فسحبني من يدى وهو يقول : وليس هذا هو الذى يستحق الإحسان . . قتل هؤلاء محترفون . تضايقت وقتها لأننى كنت أشعر بالدهشة عليه حتى ولو كان كما وصفه والدى يدعى الشلل . . ويعرضها ليبتز الإحسان . . ولكن ماذا نفعل ؟ وهذا قدرنا . . بل هو قدر كل طفل يعيش فى كنف أسرته . .

أسأل نفسى ما هو الإحسان هل هو شعور بالشفقة ورغبة فى الإحسان ثم عطاء أم هو تعبير عن واقع يعيش فيه صاحب الحاجة . . لكم أتمنى أن أعيش على جبل عال . . فى الغابة . . طرزان مع الحيوانات أفعل ما أريد . . لا ما يرغبه غيرى . . أنام كما أشاء . . أستيقظ كما يحلو لى . . لا مواعيد مدرسة . . ولا حصص ولا مذاكرة . . ومع كل ذلك فأنا أحب أبى . . أعرف أنه إنسان ناجح . . يكافح من أجلنا . . أشعر به فى أوقات كثيرة يخطو لحجرتى بقدم حارقة ولفحات حنينة توقظنى من سباتى وهو يقبلنى ويربت على وتتخلل أصابعه شعرى وكثيراً ما كنت أستيقظ لأجد على الكومدينو الشيكولاته التى أحبها . . أولعبة جميلة فى مناسبة . . إننى أحبه فنى كل مرة يقسو على فيها . . يعتذر لى بحبه الصامت لى .

أنا جائعة . . أريد أن أطعم شيئاً . . الثلاجة عامرة بما جميعة ومربة . وبيض . . وسبانخ طهتها أمى قبل أن تذهب للمستشفى يا حبيبتى يا ماما . . ستلديق اليوم . . ولكننى لا أرغب الطعام فهو مثلج . . ولن يلح على أحد لتناوله . . على أن أؤدى الواجب المدرسى .

ولكن من سيساعدني في حل هذه المسائل المعقدة .. عقلي مجهد ..
دود . سأترك الواجب حتى يعود والدي . . أغلقت الكراريس
الحقيبة .. ماذا أفعل إذن .. كتب القصص .. لقد مللت تصفحها ..
أريد القراءة ، أريد أن ألعب ولكن كيف ألعب وحـــدي ؟؟
لكونة .. آه كم المنظر مســـلى النهر أمامي في سريانه يسري
رمى .. الأطفال يعدون . لقد بدأ الظلام يخيم .. تأخر والدي ..
لتليفزيون .. وأسرعت أدير مفتاحه .. لا شيء يثير الاهتمام لقد
ــد رأيت هذه التمثيلية المعادة أكثر من مرة .. ولكن لا بأس
نوم .. يجافيني .. إعلان إستغرق ثوان عن طفل حديث الولادة
قمع من برازة وصوت المذيع ، الكينا .. الكينا العجيبة السحرية ،
بعدها أصبح الطفل شاباً يافعاً .. تضايقت بعد أن انتهت برامج
لتليفزيون سأتصل بالتليفون .. وأدرت رقماً .. النمرة لا ترد ..
أدرت آخر .. وثالث .. وأخيراً ضحكة نسائية وكلمات بصوت
م وأنا أسألها أن يستمر التليفزيون في إذاعة برامجه ، نامي
حبيبتي تصبحي على خير ، نفس كلمه ماما قبل أن أنام ..

سأذهب للسرير .. النافذة تطل على البحر .. لا أحد .. لا شيء
الخارج .. الكل نيام .. نيام .. الأجزخانة أغلقت أبوابها ..
على الكوافير بدأ يطفأ أنواره الخارجية .. أنا نقطو بعض السيارات
رقة .. وبعض المارة وأغلقت النافذة .. فسقطت صورة أمي على
ض الحجرة .. وتحطم البرواز ارتبكت وتضايقت .. وأنا
حاول إصلاح بروازها .. وتحطم زجاجها .. وانفجر الدم من



أصبعي .. الميكركروم .. ؟ أين ؟ .. وأسرعت أبحث عنه .. لم أجده .. ما زال أصبعي ينزف .. ربطته بقطعة قماش .. أريد أن أنام .. الصمت مطبق .. الشقة كلهــا مضاءة .. فأنا لا أحب الظلام .. أكرهه .. من الوقت الذى كانت تخيفنى فيه مسعودة الشغاله وأنا طفلة صغيرة وديعة بين يديها .. بعفاريت الظلام .

أنا جائعة .. ولكنى لا أحب الطعام بارداً .. مثلجاً ، وطبق السمن تعلوه متجمدة .. أريد أن أنام .. النور يضايقنى .. وأدرت الراديو .. ما زالت براعمه تشدو بالأغانى والألحان ..

وفجأة حل ظلام دامس .. أطفئت جميع الأنوار .. وصمت الراديو .. تملكتنى أحاسيس غريبة .. رجفة .. تشنجات خوف .. ذهنى انطفأ تفكيره .. ماذا أفعل الآن .. إلتصق بالعرش .. أتصور القدم الغريبة التى ستلج الحجرة أنكمش داخـــل جلدى .. أريد أن أصبح صغيرة للحد الذى لا ترانى فيه العيون المتلصصة . إنه لص .. أسمع خطواته الثقيلة .. ان تمر ثوان إلا ويكون أمامى .. أصابعه مطبقة على رقبتى .. إنى أفقد القدرة على الصراخ .. لو صرخت فسيعرف مكانى .. لا أحب أن أموت .. لا أحب أن أموت يا أبى ..

السكون يحتوى الشقة .. لماذا تأخر اللص .. لا بد وأنه فى حجرة ماما يفتش الدولاب ويعبث بمحتوياته .. فلأسرع بإغلاق الباب .. عيناى تتمردان على ظلام الحجرة الكئيب .. كل الأشياء أصبحت

رؤيتها الداهمة أشباح .. أشباح ساكنة صامتة . أين الشمعة إنها في
المطبخ .. ولكن اللص .. قد يكون مشغولا الآن في الحجرة الأخرى
عدوت إلى المطبخ . صرصار يدس قدمي .. تراجعت .. عدت
أدراجي إلى قامتي .. إلى سريري .. الصرصار يتعقبني .. أين
تكورته .. سحبتها لأغطي وجهي وجسدي .. إحساس بالخوف
يلوبي .. وصرخت .. فقدلمست قدمي العارية شيء بارد .. وتحسست
من جديد أنه قدمي الأخرى المبللة بالعرق .. التصقت أكثر وأكثر
بالسرير كأنني أسمع صرير باب مغلق .. لقد بدأ يلج الحجرة وأزحت
الغطاء قليلا عن رأسي . نظرت إلى الباب وأنا أسأل نفسي .. ألم أغلقه
منذ فترة إذن فمن أين يأتي هذا الصرير المخيف .. وضاع سؤالي ..
داخل خوفي وأنا أرى ظلالا تطول ثم تقصر .. تتماوج .. تنكمش ..
بالوان كثيرة تختفي ثم تخفت .. إنها الأشباح التي رأيتها منذ أسبوع
بالسينما ، غطيت رأسي من جـــديد .. ولكني لا أستطيع أن أقاوم
أفكاري .. أدفنها معي .. إنها تعاودني بشدة .. لي رغبة شديدة
في الذهاب إلى دورة المياه ولكنني لا أستطيع .. لا أقدر أن أترك
مكاني .. سيتقدم إلى أحد تلك الأشباح وسيمتص دمائي بأسنانه ..
خائفة .. لست شجاعة كما قلت لوالدي إنني نادمة .. أين أنت
يا أبي .. لقد تأخرت كثيراً .. لقد وعدتني أن لا تغيب طويلا ..
كيف تتركني كل هذا الوقت وحدي .. يارب ماذا أسمع .. الشبح
نائم بجواري .. لا أراه بعيني فقد أغمضتهما ولكني أبصره بخيالي
الخائف المتدفق .. أسمع وجيب قلبه .. نبضاته السريعة المتلاحقة ..



حفيف أنفاسه . . لم أكن أدرى أنها دقات قلبي . . وحفيف أنفاس المركدة من السكوفرته إلا عندما أزحتها عن وجهي . .

وفجأة رن الجرس . . وأسرعت إلى الباب الخارجي لا ألوى على شيء ولكنني تراجعت إلى الصالون . . إنه جرس التليفون . . إنه بابا - أعاتبه . . سأبكي له . . سأرجوه أن يحضر فوراً . - لا لن يحدث ذلك فقد وعدته أن أكون شجاعة . - وأنا لا أريد ان أخسر ثقته بي . . سأطمأنه . . وتلقفت السماعة « هالو » وإذا بصوت « مكتوم » أو ليست هذه مستشفى الأطفال ؟ » وخاب أملي وأنا أرد « لا . . بل هذه شقة بابا » . . وضاع الصوت . . وتوقفت خطواتي داخل الصالون . . فأين أذهب ؟ الخوف يحاصرني من جديد . . أنا الآن . - سأوقظ الجيران . سأفتح نافذة المطبخ وأصرخ ولكن ذلك سيغضب والدى . . ولن يثق بي بعد ذلك . .

لن أذهب إلى سريرى فالشبح ينام عليه الآن وأسرعت إلى حجرة والدى . . أمسكت بالأكرة . . وتقدمت خطوة . . فتحت الباب صرير الباب مزعج . . مخيف . . ماذا وراءه . . الأثاث صامت . . أيها اللص إنها خواطر صنعها عقل الخوف . . توقفت تسمرت من جديد مكانى . . لا أستطيع أن أعود . . أو أتقدم . . ما هذا إنه دائرة من نور تومض وتختفى . . لا بد وأنه عفريت سكينة الشغالة التى رمت بنفسها من الدور العاشر . . يظهر ويختفى . . يتشكل . . كما أخبرني أقرانى فى المدرسة ولكنهم قالوا لى أن العفريت يظهر فى صورة قطة او كلبة . .

• • •

أين الشمعة ؟ ! . . إن ماما تضعها دائماً فى المطبخ . . ولكن الصرصار لا لن أجده ! ! سأحضر الشمعة وأجلس هناك فى المطبخ حتى يعود أبى . . وسرت فى الردهة الطويلة أتعثر فى خطواتى . . ودلفت إلى المطبخ . . المســـافة بين ساعدى الممدود وبين الشمعة كهوة . . أمسكت الشمعة . . ولكن الظلام حالك . . لا أستطيع أن أتبينها . . ليس أمامى إلى أن أشعل البوتاجاز علنى أراها . . ولكن أين الكبريت ؟ ! . . لن أستطيع العثور عليه . . البطاطة . . نعم البطاطة لو عرفت ماما ستضربنى فهذه الأشياء من المحرمات ولكن ماذا أفعل . . ليس أمامى من سبيل . . وحركت مفتاح البوتاجاز البطاطة لاتعمل رائحة نفاذة تنفذ إلى أنفى . . وأخيراً فرقعة هائلة ارتعشت لها . . فتراجعت . . ولكن الحمد لله فقد أضاءت الشعلة الطريق لى طريقى إلى الشمعة فوق الثلاجة . . وعاودت المحاولة من جديد فأمسكت بالطقطقة والشمعة تتراءى لى . . ودفعتها . . وأشعلتها . . وأصابت راحة عميقة داخلى . . وأنا أسحب فروة الخروف من الردهة إلى المطبخ وأجلس عليها وأغلق بابه . . الشمعة تذبل . . سأكتب إلى والدى رسالة . . ولكن كيف أرسلها . . وحاويت الفكرة سريعاً . . والنعاس يداعبنى . . أنا جائعة . . كيف يتركنى أبى كل هذا الوقت . . لماذا لم يرسلنى لجدتى . . الشمعة تذوب . . خيالات أراها . . وعفوة قصيرة صور مشوشة . . متعاقبة . . عفريت سكينة . . الصرصار . . الفروة التى أجلس عليها وقد أصبحت خروفاً يذبح الجزار أمامى . . فيسيل

الدم أغرق داخـله . . العفريت الذى يومض نوراً ويختفى . .
واستيقظت . . وجدت صرصار بجانبى . . نفس الصرصار الذى كان
يتعقبنى منذ برهة . . وصرخت وأنا أتحسس طريقى الخارج فى الظلام
بعد أن ذابت الشمعة وحل ظلام دامس إلا من نور شعلة البوتاجاز
أريد أن أهرب . . واعترضنى شىء لابد وأنه عفريت سكينة . .
وتقلصت عضلات وجهى ويدى . . لم أكن أدرى أنه الكرسى الذى
كنت أقف عليه منذ برهة . . وتوقفت فى الردهة لاأدرى إلى أين . . ؟!
الصرصار من جديد . . ليس أمامى سوى الدولاب أختبىء فيه . .
وأسرعت أنثر محتوياته . . وجلست القرفصاء داخله وأغلقت
ضلفتيه . . صامتة . . ساكنة .

أنا جائعة . . أريد أن أنام . . ولكننى خائفة . . ماهـذا
الوجيب آه لو يحضر والدى الآن . . سأقص له كل شىء . . سأبكى
أمامه . . ولكنه قال لى قبل أن يبتلعه الخارج . أنت كبرت ياهامى .
لا . . لن أشكو له مخاوفى . . سأقول له عكس ما أحسست به . .
سأكذب عليه كذبة بيضاء . . الجو حار خانق داخل الدولاب . .
ملابسى تبتل عرقاً . . ماذا أسمع ؟ . . رنين جرس التليفون . . أنه
أبى وعدوت . . لم يكن صوته . . بل سؤال لرجل غريب . مستشفى
الدكتور صبحى ؟ كدت أقول له إننى هامى بنت بابا . . وأنا خائفة
إلا أننى أجبته بشجاعة مصنوعة . النمرة غلط . وانتظرت وطال
إنتظارى وأنا قائمة بجانب التليفون . . أن أبى سيتصل بى من جديد
لم أستطع الوقوف . . وساقى ترتعشان وأطياف العفاريت الممسوخة

داخل الظلام تهز داخلى . . جلست لا أستطيع النهوض أريد أن أقول أين أنت يا أبى . . لم أعد أحبك . . الخوف يمنعنى من أن أحب أى إنسان . . لم أعد أريد أخاً آخر . . لم يعد يهمنى أن أقبله . . الخوف يمنعنى أن أفكر فى أى شيء جميل . . ما هذا إنه نور وهاج ينبعث من المطبخ . . نعم . . لقد نسيت البوتاجاز مشتعلا . . ولكن لا يمكن أن تصل شعلته بهذا الوهج . يا ربى . . إننى أشم رائحة دخان . . يا الله ماذا حدث ؟ المطبخ يحترق . . وستحترق الشقة . . وسأصبح أنا الأخرى رماد . . كم أخاف أن أحترق . . إنهارت بقية شجاعتى .

ولكن ماذا أفعل . . أنا الآن خائفة . . خائفة يا بابا . . أين أنت حتى تسمع منى تلك الكلمات . . حتى تحضننى . . حتى تبعد النار عنى . . انهارت بقية شجاعتى . . ماذا أفعل ؟ ؟ وأسرعت إلى سماعة التليفون أتلقفها بيدى المرتعدتين . الحظة يطلعنى . . سأخبره مهما حدث . . سأقول له إننى خائفة . . وإننى نكصت بوعدى معه . . لا يهم . . ولكن أين نمرة التليفون . . فى الدليل . . ولكن ما هو الرقم . . ما هى المشكلة . . لا أدرى . . ولكن لابد من وسيلة . . ووضعت السماعة على



أذنى . . أسمع من خلالها جرس متقطع وسكت الجرس فجأة وحل صمت مطبق . . وبكيت وأنا أتشبث بآخر أمـــل . . وأنا أتضرع . يارب . . يارب . . إنقذنى . . النار ستحرقنى . لا أريد أن أموت . . إنقذنى . . إنقذنى ! ! . .

من أجل حفنة قروش



أبطال هذه القصة

مازالوا أحياء. ويشغلون وظائف مهمة فى الحكومة . . وبالتحديد فى مصلحة الجمارك . . أحدهم مراقب عام والثانى مفتش عمومى ، وطبعاً معروف ومعلوم لدى العامة والخاصة ما هى وظيفة المراقب العام فى الحكومة . . ياقة . قايموسن منشاة . . وتكشيرة صامدة على الوجه وما بين الحاجبين . . ساعى خصوصى يقف ويجلس عند رؤية سيادته كعرائس الخيط . . مكتب فاخر يرتدى فوق جسده قطعة زجاج وشريط من الجوخ الأخضر خشية الحر والبرد والزكام .!! وفوق كل هذا وذاك ضغط وعطر وأ فاظ متنوعة يرتج لها الولدان داخل الأرحام . . وإذا احتاج الأمر فلا مانع من صفعة قاسية على الوجه أو القفا . . وكلة بالحذاء اللميع على العجز المليء أو الرفيع ، ولكن تقييم وظيفة المراقب العام بالجمارك تختلف عن مثيلتها فى الحكومة فهى وظيفة عادية لا يحتاج شاغلها لاستعمال يده فى صفعة أو قدمه فى ركلة أو أصبعه فى فقأة ، ذلك أن الصفعة عنده انها تكييف آخر تكييف عادى. ولكنه أشد إيلاماً من صفعة حقيقية ، حتى أن عرل صعيدى والصعيدى يعتز دائماً بقفاه سمعه الناس أثناء خروجه من حجرة المراقب العام وهو يهلوس ويقول «عض قفاى ولا تمض رغيفى»هذه الصفعات قد تكون فى تقدير جزائى يقسم الظهر أو فى مصادرة تذهب العقل أو فى بيع يقصف العمر ، وكلها صفعات عادية . لا يصاحبها عناء رفع اليد ، فقط تأشيرة

صغيرة لا تكلف خردله ، بعدما يتشقلب الممول ، يصبح كالقرد الذى رأى بعينيه قطة تذبح لأنها لم تستطيع أن تؤدى الحركات البهلوانية . . ومن خلال ذعره نام نوم العازب . . عجن عجين الفلاحة . . رقص خمسة الدى بالعصا وهكذا الممول فالخوف ينمى المواهب . . ويجلى الصدأ عنها . . يصقلها .

هذا المراقب العام غارق لشوشته فى التقديرات واللجان . . وفى الاجتماعات تارة مع المدير العام وتارة مع مدير مدارى العموم . . وتارة مع نفسه . . وهـذا الإجتماع الأخير أصعب الاختبارات وأثقلها على النفس عندما يودع زحمة العمل ويعود إلى بيته محشوراً فى أتوبيس . . منتظر إياه ساعات وصلصله الملساء يسيح شحمها من وهج الشمس . . وشعر رأسه يطقطق من ألم المفاصل الذى إعتراه فى الآونة الأخيرة . يعود إلى بيته . . فيجلس على المائدة ينتظر أعاود الطعام الذى أعدته زوجته فى الطبق الصاج البالى المقشر . . ليجد فتفوة الحم نصيبه من نصف كيلو للعائلة السعيدة . . يبصبص لها بعينيه . . يلف ويدور بحدقتها حولها . . يدمم عينيه بتصغير الأشياء . . زمان كان يعانى من قصر النظر . فيسرع إلى حجرته يسحب نظارته المكبرة التى أعدها خصيصاً للطعام ، يستملح بها الطعام . . يا سلام على العلم . . لقد أصبحت الفتفوتة أمامه رطل لحم مشفى . . والشوكة أمامه مذراة قمح والسكينه ساطور ويداه يدا ديناصور وطبق الصاج أمامه حاشعه غسيل !! ويبدأ فى تقطيع رطل اللحم ، ويفاجأ أن ما يدخل حلقه ليس سوى أوهام



النظارة المكبرة ويمسك بالرغيف الأسمر الكالح الوجـــه والبشرة يقضمـه . . فتردى داخـل جوفه وعلى أسنانه حبات الرمـل العالقة بالرغيف . . يقول بعد أن يشبع من الوهم والضيق والأسى « يا رب هل يرضيك هذا الظمأ . . وهذا الشرف . ملعون أبو الشرف . . ملعون . . ملعون إلى يوم الدين فى وقت أصبح الماسك عليه كمن يمسك جمرة تمسه بلظاها . . تحرقه بلهيبها .

والمفتش العام وظيفة هامة جداً . . لاتقل أهمية عن وظيفة المراقب العام، فهو يراقب عمله . . يعنى مراقب عام العام ولا تقتصر رقابته على المراقب العام فقط بل كل من يعمل تحت إمرته من مأمور ومراجع وكاتب أرشيف . . سواء كن أم رجالا آنسات كن أو مطلقات . . حوامل أو مرضعات . . شباب أو شيوخاً وحتى يسير دولاب العمل يجب أن يتفق الاثنان المراقب العام والمفتش العمومى فإذا ما اختلفا والعياذ بالله حدثت مجزرة دير ياسين أو ثورة السفينة بونتى أو مذبحة هيروشيما . . وفى منتصف الطريق إلى القمة يجلس أحد الكبار يسمونه مدير عام . . والمدير العام فى أى جهاز حكومى كلمة لها رنين الذهب لأنه يقبض كل شهر مائة وخمسون جنيهاً . ولها نكهة السجاير البلمونت التى راحت عليها وماز الت إعلاناتها يصر ويصمم أنها مازالت على قيد الحياة . . والمدير العام يعرف الجميع أنه يدير ويدير . . يقف ليدير ويجلس ليدير . . ويسهر ليدير وينام ليحلم بالإدارة . . يتأكد من توقيعات الموظفين فى كشوف الحضور والانصراف مع أنهم طيلة اليوم إما مزوغين أو مصابين بذبابة تسى تسى وسندوتشات الفول والطعمية . . فهم نيام نيام . . يقف أمام

أبواب المصـــاعد الساقطة واللاقطة بعد الخارج والداخل . . ينظم عمليات دخول الحريم والرجال داخل المصعد . . الرجال فى صف والحريم فى صف آخر حتى لا تحدث مهارل الأتوبيس . . يصدر تعليماته القرمانية حفاظاً على عمر المصعد أن لا يتواجد داخله أكثر من سبعة عجاف أو خمسة سمان وحوله ماشاء الله السعاة . . وبعلى الحظ ذوات السبع ألسن وحاملى التعاويذ . . وخمسة وخميسة . . والموظفين الكبار . . كل يسعى انظرة . . لابتسامه ويا حبذا لو كلمة منــــه لحظتها يقشعر بدن الموظف بأحاسيس العظمة الواهية والسلطان الأجوف .

وما علينا فهذه كلها مقدمة قصيرة لقصة قصيرة بدأت أول خيوطها تتجمع عندما حدث ما لم يكن فى الحسبان خلاف بين المراقب العام محمود أبو قمورة ، والمفتش العمومى — أحمد النجيب — بعــدما اهتزت الأرض ومادت . . هربت المردة من قمائمها إلى تلغراف تهنئة للسيد الوزير لحصوله على درجة الوزارة الفخرية برتبة الرضا والقبول من السلطة وبدأ المفتش العمومى يجمع بشق الأنفاس من كل موظف خمسة قروش بتيمة ولكن تبين بعد إجراء الموازنة العامة . . وبعد الدقيق والتمحيص وبعد عرض الميزانية على المراقب العام أن الموظفين العموميين أصبحوا لأول مرة فى تاريخهم دائنين بمبلغ ثلاث قروش !! . الفرق بين تكلفة التلغراف وبين ما حصل منهم . . إلى هنا وكادت القصة أن تنتهى لولا أن المراقب العام أصر ورأسه ألف



سوف أن يستبقى هذا المبلغ على ذمة المرافقات مستقبلة لدى الموظفين والمانى المديرين . . بينما أصر المفتش العمومى أن يذهب الفرق إلى الموظف الكحيان . . التعبان فقد يساعده ذلك أن يغير من مجرى حياته فيركب درجة أولى فى الأتوبيس . . أو يشترى لبونة أو ربطة جوجير . . أو رغيف أفرنجى . . المراقب العام له حجته لأن عارف العمل فى المصلحة علمته أنه إذا كان لأحد المموليين مبلغاً مسدداً بالزيادة فلا يصل عليه إلا إذا ضرب بالسياط والسوط هنا ليس مقصوداً به لكرباج السودانى ولكن التعليمات . . طلب على عرضحال دمغة وعليه أن يبحث عن هذا العرضحال وأن يأتى به حتى ولو أدى الأمر إلى السفر للاسكندرية أو بورسعيد أو حتى للخارج . . ثم سؤال مكافحة التهرب . . ثم سؤال الحراسات . . ثم وثم . . ألف ثم . . ثم إذهب وتعالى . . وتعالى وإذهب . . سياط وراء سياط والحصيلة النهائية . . دع المبلغ حال سبيله على ذمة جمارك العام القادم . . ويصرخ الممول والعيال . . . فيجيئه الرد . يا كلو زاطه . والمفتش العمومى أيضاً له عذره . . فقد أكسبه عمله حرصاً شديداً . . وخبرة متعمقة فى المسئولية وفى عــــدم إستبقاء أية مبالغ لديه حتى . لا يشك . أحد الحاقدين شكوى ضده بأنه يمصب عينيه عن الأخطاء مقابل المعلوم ؟ !

ولكن ما العمل . . وما هو الحل . . وكل منهما يمسك بطرف الحبل . . يتمسك برأيه ؟؟ . فلم يكن أمامهما إلا أن يرفعا الأمر

إلى السلطان الجائر . . والسيد عجمية . . حامل شهادة لا إله إلا الله الذي جلس واستخار الله والملائكة وزار الأولياء وأطلق البخور عله يصل للرأى السليم ولكن لم يستطع أن يغلب رأى على آخر . . وعاد إلى عمله فى اليوم التالى يائساً . . هل هموم الدنيا تراكمت على عقله . . لم ينم طول الليل . . أقلقه عجزه عن الوصول إلى حل . . عاد إلى مكتبه وقد هده الحزن واليأس . . وأشاروا عليه بوردة . . فأرسل الساعى على عجل ليشتريها . . وردة بلدى جميلة حمراء بخمسة قروش . . أخذ ينتف أوراقها الواحدة تلو الأخرى يقذف بها من نافذة حجرته المكيفة بأنفاس الكادحين . . بأنين الأطفال العرى فى الدروب والحارات القذرة العفنة . . بتأوهات الفقراء الذين يشربون ماء الترعة الراكد . . يغتم بعــــدها المراقب العام . . المفتش العام . . وتعجب عندما رسا الزاد على الاثنين . . كيف هـــل أخطأ أم أن الاثنين على صـــواب . .

وقرر المدير العام أن يستشير أهل الرأى والخبرة فوصلت إشارة عاجلة إلى المراقبين العامين والمفتشين العموميين تنبىء عن إجتماع عاجل لمناقشة مشكلة عويصة تواجه المصلحة . . وتقاطر الأكابر بعضهم ماشياً بعصاتهم راكباً سيارة أو متأبطاً أتوبيس . . واندهش الكثير منهم المدير العام يطرح المشكلة . . إن الوضوح تاه والكن بعد عرضه من ســـاداته فقد أكسبه ذلك مناعة الأعصـــة تماماً كالبنسلين الذى يستخرج من الريم . وابتدأت الحناجر تدوى بالحلول الآجلة والعاجلة

مذكرات تلو مذكرات . . خطب وحماس فائق فى عرض وجهات النظر المتباينة . . وانضم البعض لرأى «أبو تمديرة» المراقب العام وتعاطف آخرون مع «النجيب جدا» . . ولكن لا أمل فى حل . . فقد تخطى الموضوع عليه وأصبح دولياً . أى خاص بالدولة ، واتسعت هوة الخلاف . . فالموضوع لم يعد يتعلق بمصلحة الجمارك فقط . . بل أصبح يهم كافة أجهزة الدولة من تموين وغذاء وإسكان لم تعد القضية شخصية بين مراقب عام ومفتش عام ! بل أصبحت قضية عامة بعد أن عنونت إحدى الصحف الكبيرة صفحتها الاولى «واشتبت أسره» الخلاف يتفاقم ، وبدأت زميلاتها تتبع الموضوع . . وتنشر تفصيلات الخلاف وترغى وتزبد . . واطبقت وزارة التنمية الإدارية بمكها المقدس على جسد الموضوع . . وبدأت عقول الجهابذة تتفتق على الحلول والناس فى حيرة ما هــــذا الذى يحدث ؟ أساتذة جامعات فى كليات «كلشن كان» يتبارون فى إظهار مواهب الغزل السلطوى . . كل هذا ومازال الناس يتساءلون ماذا جرى ؟ . ما سبب كل هذا ؟ . عطون شفاها آسفة . . وتمخض الفأر فولد جبلا . . ونسى أو تناسى الجميع السبب الاساسى فى كل ما حدث . . الشباب حائر . . الكل يجرى وراء الشكل . . وراء جسد عجوز بدون نبض وعلى أثر ذلك كله . .

تكون حزب الوسط . . وتساءل الناس فى دهشة ماذا يقصد بالوسط ؟ هل هو مجريا وراء معنى إمساك العصا من الوسط ؟ أم أم مقصود به تلك الفازية التى رقصت على وسط السلم فلم يرها أحد لا من تحت ولا من فوق ؟ أم مقصود به هز الوســـط فى كباريهات

السياسة المغفة من أجل مزيد من النقطة ؟ ! تلك التى تصيب القلوب أو العيون فتصبح الرؤيا بعدها « تشاش .. تشاش » . . لا أحد يدرى ولكن فجأة وبقدرة قادر . ولأن الوسط لابد أن يكون له أطراف .. تكون حزبا الأطراف الصناعية . . الترف الغربى والطفى الشرقى . .

وماجت الحياة السياسية وماجت وارتفعت الأعلام البيضاء والخضراء والخرساء وثار الضجيج المفتعل وعبق فى الجو رائحة الانتخابات وبلعت القلوب الحناجر ، ووضعت برامج وعدلت مواثيق وألغيت تنظيمات وحل مكانها « ترقيعات » واكتاب كثيرون هلوسة الأحزاب وابتدا جسد السياسة العاجز يهتز بإيقاعات على موسيق وابور الجاز الذى اشتعل وهب ليصنع مع الجسد الصناعى العاجز ضبابة كثيفة تغطى عن الناس حقيقة كل شىء . .

وحتى كتابة سطور هذه القصة لا يعرف السواد الأعظم أن السبب الرئيسى فى تكوين الأحزاب الثلاثة هى حفنة قروش !!



الحافي



جلست أمام مكتبي العتيق .. أحاول أن أعصر لب عقلي .. استلهم على قطراته فكرة قصة جديدة . سعداوى أفندى برأسه البطيخى الأملس إلا من بعض شعيرات متناثرة فوق أذنيه المفرطحتين وقفاه اللامع .. فمه ينفرج عن ابتسامه بلهاء لامعنى لها فيتجعد جلد جبهته ثم يسترخى فور ذوبان ابتســــامته .. يفض لفافة بحرص متأنى .. بداخلها ثلاث سندويتشات وقد انفرجت أفواهها المشقوقة وعلى أشداقها تناثرت حبات وقشور الفول المهروس وتحتها يرقد بنطلون هالك .. تفوح من كلماته رائحة الضيق والأسى وهو يقلبه بين يديه ويتمتم .. حالك مثل حالى .. ماذا فيك يمكن إصلاحه ؟ . تمتد يده إلى أحد السندويتشات يقضمه .. يتلذذ .. وهو ينفث فيـــه بقايا غيظه المكتوم .

عامل البوفيه يدلف للحجرة وضوء الكسول يعلن عن بضاعته كاسة شاى .. قهوة .. كركديه . يقلب ملعقة ألومنيوم داخل كوب إمتلأت حافته بسائل بنى غامق رنين الملعقة بالزجاج يتلاشى وهو يضع الكوب على مكتب سعداوى الباهت وقد تناثرت على سطحه دوائر متشابكة ويتمتم قبل أن يختفى من الحجرة . شاى كشرى يا بيه . سعداوى أفندى يصب داخل جوفه قطرات الشاى ثم يصمت بقايا . التفل . وهو يتمتم . كشرى ؟؟هو فيه طعم الشاى!! . يتصفح ورقة اللفافة ثم يكورها بيده .. يتشن على فوهة الشباك المفتوح .. فتتخبط القذيفة على برواز الشباك الخشبى لتستقر أخيراً على أرضية الحجرة المطموسة المعالم . الساعى يدخل

يهمس له كبائع مخدرات ، فى الجمعية سمك ياسعداوى أفندى ، تستقيم قامته المديدة يبحث فى جيبه الدءور بائع كرافتات يلج الحجرة .. يتردد وهو يفتح حقيبه نوحية هالكة ثم وهو يهمس فى خشـــوع . كرافتات مستوردة .. آخر موضه ، يزوم سعداوى .. يشيح بيده فتتعثر خطرات الرجل وهو يخرج من الحجرة .

كم النوم لذيذ .. لقد بدأت تداعبه أحلام القول الوردية بعد أن خلع حذاءه لماسح الأحذية يظفه وبعد دقائق كان يغط فى نومه .. وفجأة علت صرخة عجوب .. إنها صرخة الساعى وهو يقتحم الحجرة يتجه إلى سعداوى أفندى يهزه .. يخرم طبلة أذنه النائمة بقوله ، المداوى بيه بطلبك ، إنتفض سعداوى .. تريث وهو يمسح بقايا النوم عن عينيه النائمة بكم قميصه المهدل .. هرول من الحجرة إلى الدهليز الطويل .. توقفت نظراته على ماسح الأحذية وهو يداف ومعه حذاء سعداوى أسرعت إليه حاول تحذيره وقبل أن يصل صوته إليه ذاب طيفه داخل حجرة المراقب العام .

وبعد دقائق عاد واجماً .. لقد كلفة رئيسه بعمل إضافى وسألته متلطفاً .. ألم بر شرابك الممزق ؟ إحتوته دوامة الحيرة .. تساؤل دهش على قسمات وجهه .. نظرات مستطلعة تتوقف على قدميه ثم على حذائه الراقد بجانب مكتبه .. وضاعت حيرته وانتقلت عداوها إلى وهو يجيبنى :

ـ شرابى الممزق .. لقد كان هو الآخر حافى القدمين !!

أوليمب العدالة



أطلب

من القضاء أن يفتح ملف هذه القضية من جديد فالمتهمون .. أبرياء .. مازلوا يمرحون على الأرض الطيبة التى لم تجف عليها دماء ضحيتهم .. القضية لم تمت بعـــد .. فأنا أعرف القتلة واحداً .. واحداً .. قصتى مع أحدهم كشفت الغامض منها .. وأنا لن أسكت مادام بداخلى قلب ينبض .. لن تجف دماء قلبى الذى أحفر به الصفحات .. إلا إذا رأيتهم جميعاً خلف القضبان .. وإذا قتلونى فلتكن أحداث قصتى بداية الخيط لتحقيق فى جريمة ثالثة .. ليصبح الحكم .. براءة !!

كان الظلام يحتوينى وأنا قابع فى الشـــارع العريض لا يشغلنى سوى شىء واحد أن أجد تاكسياً يقلنى إلى مكان بعيد .. وليس أى تاكسى .. إنما واحد يقوده شخص أعرفه تمام المعرفة .. جمعتنى وإياه روابط وثيقة .. إنتظرت طويلا .. فأنا أعلم أن مكان إنتظاره المعتاد أمام تلك القهوة التى تبعد قليلا عن وقفتى .. كنت قلقاً .. مشغولا .. خائفاً .. أخشى على حياتى منه وخواطر شتى تخالجنى .. فقد وصلت منذ فترة من أمريكا بناء على تلغراف .. ودعت فيهما أخى .. الإنسان .. الفنان الذى عاشت لوحاته المبدعة تنير الفن طريقاً .. حضرت على عجل لأجده مكوماً فى شوال وقد نفـــذت رصاصة إلى مخه .. لم أبك .. فقد ضاعت الدموع .. بداخلى صراع هائل بين الإنتقام البربرى .. وبين ما يسمونه القانون

واجتمعت العائلة ليلة أن واريناه جثته التراب . . تناقش خطوتها المقبلة . . واجتمع عقلها على قرار الأخذ بالثأر . . إلا واحد . . اتهموه بالجبن والتردد والخوف . . الوحيد الذي وقف بينهم يرفض إجماعهم والألم يعتصره . كانت صرخات الانتقام تدوى . . يدفعها عن نفسه منطق القانون والعدالة . . وشعر بثقل المسئولية وعظمها وهو يتتبع المحاكمة ماذا لو لم تقتص العدالة من الجناة . . . وأخيراً أنه وهو يتتبع المحاكمة ثم يعترف ان عمه يحمق في وجوه لأن العدالة برأت ساحة المجرمين . . كاد يترنح من هول الصدمة . . طوحته بكل ما لديه من أمل في القصاص العادل . والمجرمين تفرقوا . . يمرحون في الأرض الطيبة . . يأكلون ويشربون . . . ويزغردون لأحكام البراءة

طافت تلك الصور المختلطة داخل بفرشاة الماضي مدادها دم أخي وأنا في انتظار السائق الذي يطالعني به تلك الصور المتلاحقة . . رأيته يقف بالتاكسي أمام القهوة مشغولا بلف الفوطة الصفراء حول العداد . . أسرعت كطائر تصرعه رصاصة . . يرفرف داخل غياهب الظلام . . ليتخبط على الأرض . . ودلفت بسرعة مجنونة إلى التاكسي أبحث عن عن لقاء عينيه داخل المرآة يحتويني ظلال جمود نور والقلق والخوف يسبقان عبارتي وأنا أستحثه :

ـ أسرع . . أسرع . .

فأجابني بصوت كسول ويديه غارقة في محاولاته لف الفوطة الصفراء :

ـ آسف يا بيه . . فقد حان وقت راحتي .

فأجبته برجاء مذعور :

— أرجوك .. فأنا فى مأزق .. أسرع وإلا ضعت .

أخرجته كلماتى من تردده ليلقى نظرة سريعة إلى الخلف .. يستشف بها ما آل إليه حالى من الجزع والخوف .. وليحسم تردده فى كلمات قليلة وهو ينزع الفوطة الصفراء :

— إلى أين ياسعادة البيه ؟

— إلى أى مكان بعيد .. بعيد جداً .. حتى يهدأ الجو .

وإذا به يقـــول وابتسامة خبيثة ترنو بها من طرف فمه ومرآة التاكسى :

— آه فهمت .

واندفع بالسيارة فى شارع جانبى وأنا أتمتم والتمس ورائى :

— أنت ماشى على قشر بيض .. أسرع فهم يعدون فى أثرى وداس البنزين .. وبدأت السيارة تأكل الشـــوارع والحوارى الجانبية .. والقلق ينهشنى والحيرة تنشب أنيابها داخلى وأنا أسأل نفسى هل أنجح ؟؟ وصلنا حدائق القبة وفى حارة ضيقة طلبت منه التوقف .. ووجدت نفسى أبكى .. أول دموع التقى بها بعد مقتل أخى .. لا أعلم لماذا بكيت هل لأننى أردت إجادة تمثيل دورى ؟؟ .. أم لأن البكاء كان كضيفاً لا بد منه بعد الأزمات المتوالية التى مرت بى ؟؟ .. يرجعنى طويلا عما أعانيه بعد أن بصق على وجهى إبن عمى الفلاح وهو يصرخ .. ولقد غبرت رؤوسنا فى التراب ، داريت دموعى والسائق يتمتم :

يشجعني .. يحنو علي بتودد غريب :

— يا بيه الرجالة لا يبكون ..

فأجبته بهدوء غلف قلقي وحيرتي :

— أنت لا تعرف شيئاً فالنار لا تحرق إلا من يلمسها .

فقال لي بنفس التودد الظاهر :

— قد أستطيع مساعدتك لو أسريت لي بقصتك .

واستطرد يهمس في حرص خافت وهو يشير إلى الحقيبة :

— هل تحمل مخدرات ؟

قلت له بدهشة ممزوجة بالقرف والقلق .

— مخدرات إيه . . وزفت إيه .

— أحكي لي فأنا ابن بلد . . والخيرون كثيرون .

— ولكن .

— على كيفك . .

قالها بضيق وتبرم ، واعتدل في جلسته المائلة نحوى ليدير السيارة ..

ت كتفه لمسة خفيفة وأنا أهمس له :

— ومن أدراني أن لا تذيع سري .

فرنا إلي وابتسامة رضاء يصنعها فوق شفتيه تعبيراً لاستخلاصه

سمع :

— يا بيه أنا في الخدمة .. كله بحسابه .



وندت مني زفرة مسموعة صهرت بداخلها كل ما يعتمل داخل

ثم سألته :

ــ ماذا تفعل عندما تجد زوجتك فى أحضان رجل آخر ؟

ــ قتلتها إذن وعشيقها ؟ !

ــ إننى أسألك فقط .

ــ مازلت تخشانى .

ــ . . . . . .

وفضوله النهم يحرك لسانه من جديد ليسألنى :

ــ قد أستطيع أن انقذك من محنتك .

ــ كيف ؟

ــ اسمع أولا الحكاية .

ــ ولكن كيف تساعدنى وانت لم تعرف حتى اسمى .

ــ لقد أوصانا الله أن نفك ضيق المكروب .

ــ صحيح . . صدق من قال رب صدفة خير من ألف تدبير .

ــ قلتها وحدك .

ــ الحقيقة . . لقد بدأت استريح واطمئن إليك .

ــ ربما يقدم ما فيه الخير .

ــ سأعترف لك .

ــ سرك فى بئر .

ـ لقد قتلتها منذ لحظات .

ـ فى ستين داهية .. ولا يهمك .

ـ كيف ؟ إن جثتها مازالت فى الشقة ؟ !

ـ وجثة عشيقها .

ـ لقد هرب ..

ـ .. أخ .. أول خطأ ارتكبته .. كان يجب عليك أن تقتله هو الآخر .

ـ لقد هرب من النافذة بعد أن رآنى أقتل زوجتى ..

ـ ولا يهمك .

ـ إنه سيقيم الدنيا ويقعدها .

ـ من هذه الناحية اطمئن .. فكيف لعشيق أن يعترف على نفسه أنه كان فى أحضان القتيلة ..

ـ إنك ولا شرلوك هولمز .

ـ يا سيدى .. قالها بتواضع ثم استطرد بنفس التواضع :

ـ هل رآك أحد غيره ؟

ـ لم ترنى سوى عين الله .

ـ عين الله ساهرة .

قالها بسخرية أعقبها بابتسامة شاردة .

ـ العدالة لا تحكم من خلال عين الله .. وإلا أصبح حبل المشنقة



أقرب الانسان من حبل الوريد . .

قلتها بتحد غريب .

— أعوذ بالله . . مالك وهذه السيرة .

— لا تؤاخذنى . . فى وقت ارتكاب الجريمة وحبـل المشنقة لا يفارق مخيلتى . .

— لا تخشى شيئاً . . طالما أنا معك .

— إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا . .

— المهم الجثة . . أين هى .

— فى فيلا الصياح عبدان الجامع .

— يجب التصرف بسرعة حتى لا ينكشف أمرك .

— جازاك الله خيراً .

— ولكن ذلك سيكلفك غالياً .

— من خمسين لمائة جنيه . . كل ما أريده أن تنقذنى من ورطتى .

— ستلقى الجثة فى النيل بعد أن تغير ملامحها

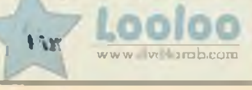
— قصدك . . تشوه وجهها .

— بل نفصل رقبتها عن جسدها . . وكذلك ساقيها ويديها . . ليعثروا فى النيل على قطعة لحم مطموسة المعالم .

— هذه وحشية .

— الذبيحة لا تحس بالسلخ بعد ذبحها .

ـ لقد كنت أحبها . . فكيف أراها مفصولة الرقبة والساقين واليدين .
ـ أليس ذلك أفضل من رقبتك .
ـ حقاً ما تقول . . ولكن ماذا أفعل بعد ذلك ؟
ـ تدفن رأسها في صحراء الهرم ويديها في صحراء مصر الجديدة وساقيها في صحراء الفيوم .
ـ مجرد التفكير في ذلك يرعبني فذلك يعد انتهاكا لحرمة الأموات .
ـ وهي عندما خانتك ألم تنتهك ما هو أثمن من حرمة الأموات .
ـ أنت قوى الحجة . .
ـ على المرء أن يستفيد من أخطائه السابقة !!
ـ ولكنني خائف . . أرتعد .
قهقه طويلا وهو يقول .
ـ إنك تذكرني بشخص عزيز .
فسألته بلا مبالاة :
ـ صديقك ؟ !
فأجابني بصوت مستطلع جاف النبرات :
ـ وكيف عرفت ؟ !
ـ ألم تقل منذ برهة إنه شخص عزيز .
ـ إن له قصة طريفة . .
ـ لست في وضع يسمح لي بسماع قصصك . فلتها باختصار شديد .



— إذن فلنتفق قبل أن نبدأ . .

— أنا طوع إشارة من بنانك . . من يدك هذه إلى يدك تلك .

— أعطني أربعمائة من الجنيهات . . النصف مقدماً .

المبلغ ضخم . . إنه ابتزاز .

— أو ليس أفضل من ضياع حياتك داخل حبل المشنقة .

— ومن أدراني ألا تفشي سري .

— هل أنت ساذج ؟ لقد أصبحت شريكك منذ اللحظة التي اتفقت معك فيها .

— ومن يضمن لك أن أدفع المائتين الأخيرة . .

فضحك وهو يقول .

— ألم يسبق لك أن قتلت .

— ولا عصفورة . . إنها لحظة ضعف فقدت فيها كل شعوري ولن أعود لمثلها أبدا . . توبة ما بعدها توبة .

— ألم يعد باقياً إلا أن تركب الصعب . . وتداري جريمتك

— ولكنك لم تجب على سؤالي .

— أي سؤال .

— قد لا أنفذ نصف الإتفاق الأخير .

— عجباً . . فقد أجبتك منذ لحظة .

— لنعد سهلا .

ـ هل الإنسان أن يساعد أصدقائه .

قالها بثقة وسخرية .

ـ ولكن عرى الصداقة لم تتوثق بيننا بعد .

ـ إنى لن أساعدك . . يكفى أن تكون فى ورطة لأعرفك .

ـ إن شاء الله تكون معرفة خير .

ـ كل ما أفعله هو من أجل وجه الكريم .

ـ سأسلك بالفيلا المقدم . . والمؤخر . . تحب أكتب لك شيك بقيمته !

ـ يا بيه عيب . . أنا معاملتى الله .

ـ لكن فى الحقيقة أنا لست واثقاً فى مقدرتك على إخفاء الجثة . .

سكبت فور الإنتهاء من تلك العبارة التى صهرت داخلها معانى التحدى . . على نفثه المتأججة دش ماء بارد . . فهمس بضيق وتبرم .

ـ أنت لا تختلف عنه عندما كان فى نفس الورطة .

ارتبج على قوله إلا إننى فاجأته ببرود شديد :

ـ دعنا من ذلك إلى مشكلتنا .

ـ ولكنك اقلل من قيمتى . . مع إنك أمام رجل حنكته التجارب

ـ كلام مجرد كلام.

ـ لا تعاود الحديث عن ذلك . . وإلا تركتك وشأنك .



— لا أرجوك .. فأنا ما صدقت وجدت رجلا فى مثل شهامتك واعذرنى فأعصابى متوترة ..

— لن تستطيع شيئاً .. إلا إذا ذاب هذا التوتر .

— ومن أين هذه النفس والجثة مازالت فى الشقة .

— فلتبعد ذلك عن خاطرك حتى تستطيع أن تفكر بهدوء .

— إنك تحملنى فوق طاقتى .

ومرت فترة صمت قصيرة استطرد بعدها قائلا .

— لم أعرف إسمك بعد ؟

فاجأنى بالسؤال .. حجر مدبب .. يدمينى به إلا أن سرعة خاطرى ألهمتنى تلك الكلمات :

— أخشى بعد ذلك أن تتحدث عن كما عرفته عنى .

— مازلت لا تثق بى .. أنا إذا أحلك من الإتفاق .

— أرجوك لا تتخلى عنى .. ولتكمل ما بدأناه .

— إذاً فلماذا تريد أن تخفى إسمك .

— إسمى سريف اطفى .

— فلنبدأ الحديث عن خطتنا بعد أن تهدأت أعصابك .

— مازلت متوتراً .. أنظر إن يدى مازالت تهتز .

— غريبة كأنى أرى فيك صورة عبد الرافع .

— ذلك الذى شبهتنى به عندما كان فى نفس الورطة .

ـ لقد كان يبكي ويتصبب عرقاً بعد أن إرتكب جريمته .
ـ يا ليلة سوداء . . لقد وقعت في يد من لا يرحم . .
ـ لم أكن شريكه في القتل . . ولكنني كنت العقل المدبر الذى أخفى معالم الجريمة .
ـ الحمد لله أن لك خبرة سابقة . .
ـ مع الفرق
ـ ماذا تعني؟؟
ـ صاحب المدينة يصنع ستارة شفافة يصعب إخفاء الجريمة خلف نسيجها المرق .
ـ لا أفهم .
ـ الناس في القرية يتآمرون الساعة مساء .
ـ بدأت أعي . . فلكل ثوب ثمن . . شفافيته ترفع قيمته .
ـ نحتاج الليلة لكثير من الحكمة .
ـ والخبرة لا تنقصك .
ـ ومع كل الحرص والخبرة والحكمة كدنا أن نضيع كلنا . . لولا لطف الله علينا .
ـ أنت تثير فضولي .
ـ ماذا عرفت ؟؟ إنها قصة تصلح للسينما .
ضحكت وأنا أعقب على تساؤل قسمات وجهه الدهشة لضحكتي:
ـ لا تعجب فشر البلية ما يضحك .
ـ بدأت تستفز هدوء أعصابك .



— وربنا كريم .

— ستنام الليلة مرتاح البال بمشيئة الله..

— لن أنسى لك أفضالك .

— صداقة المحن أقوى الصداقات

— سأعتز بها طول حياتى .

— ولن تندم فى يوم أنك عرفتنى .

— إنك إنسان عظيم .

— هل تعرف أن عبد الرافع ما زال يحلف بصداقتى حتى يومنا هذا .

— إن ما فعلته لا يساويه كل كنوز الدنيا .

— ومع ذلك فقد كاد يوقعنى فى شر أعمالى عندما إعترف على .

— مجرم !!

— كان ذلك تحت تهديد البوليس وعنف المخبرين .

— ولو ..

— إنك لم تجرب بعد قبضة المخبر الفولاذية أو صفعاته الملتهبة أو ..

— ليس ذلك مبرراً للاعتراف .

— هذا ما اتفقنا عليه .. وحلفنا به على المصحف قبل أن يحجزونا بالمركز .

— إنك تشوقنى .

— سأحكى لك .

— إختصر فأمامنا مشكلة معلقة .

ـ أيقظني عبد الرافع الساعة الثانية صباحاً وهو يبكي .. نفس بكائك منذ لحظات .. وقد بان على قسمات وجهه نفس إضطرابك واصفرارك ورعشتك .. يقول لي « مصيبة .. مصيبة يا أسطى عروس » وسرت معه في شوارع القرية المظلمة .. لم نتحدث .. بيننا حديث خفي هو يعلم كل تفاصيله .. وأنا لا أدري عنه شيئاً .. بداخلي سؤال أو أسئلة وأنا أدلف إلى بيته ثم إلى الحجرة التي كانت الشلة مجتمعة فيها منذ ساعات .. وفوجئت بجثة رجل منكفئاً على وجهه ودماء متجمدة تغطي أطراف الحجرة الضيقة ..

وعندما تبينت وجهه من خلال شعاع لمبة الجاز الهزيل أصابني الذهول .. لم يكن سوى عمر ابن الشيخ عبد الدايم .. الشاب .. الذي شاركنا يدونه كثيراً من جلساتنا الصاخبة .. اللحن الهادىء .. النسمة الرقيقة التي كانت تداعب قيظ مناقشاتنا وصرخت .. لماذا قتلتموه ؟ .. لم أصرخ حزناً فيه ولكن صرخت خوفاً من هالته التي تطحن الزاهد .. وجاءتني الإجابة من عبد الرافع في صورة عارية لزوجته طمطم رسمت بفرشاة مذيلة بتوقيع عمر ..

وتوقف عروس قليلا وأنا أقدم له سيجارة وأشعل أنفاس أخرى أسكب مع أنفاسها الخارجة لهيب إنفعالي وضيقي وغيظي المكتوم وأنا أسأله :

ـ القتل من أجل صورة مرسومة ؟ أتريدني أن أصدق هذه القصة ؟ !

فأجابني عروس بتريث وهدوء :

— مهلا قليلا .. لا تتعجل .

سحب نفساً عميقا من السيجارة فاتقد طرفها ثم تنحنح قبل أن يستطرد قائلا :

— لقد نمى لعلم عبد الرافع قبل الحادثة أن ثمة علاقة تجمع بين زوجته وعمر بدأت تثمر فى حب جارف .. ثم تيقن من ذلك بعد أن أخبره أحد أصدقائه أنه رآها فى صحبته بالقاهرة .

فقاطعته قائلا :

— لكنك قلت منذ هنيهة أن الحادثة وقعت فى القرية .

— نعم .. فقد كان عمر طالبا بكلية الفنون التطبيقية بالقاهرة إلا أنه كان يقضى أجازته بالقرية .

— وفى القاهرة رسميا .

— تمام .. وكانت طمطم تنتحل المعاذير لتذهب هناك .. ولكن المفاجأة حدثت عندما إستيقظت طمطم على دوى الرصاصة ووجدت عمر مدرجاً فى دمائه .. فتمالكتها هستيريا مخيفة وصرخت «مظلوم .. مظلوم» .. وشجت جلباب زوجها وهى تصرخ «حرام عليك قتلت مظلوماً» .

— وهل كان مظلوماً حقاً .

— الحقيقة كما عرفناها بعد ذلك منها .. أن طمطم كانت تسافر للقاهرة لتقابل يسرى الأرناؤوطى زميلها قبل تخرجها من مدرسة المعلمات والذى كان يعاشرها معاشرة كاملة قبل الزواج .. واستمر على علاقته بها بعد الزواج .

والحقيقة أيضاً .. طمطم كانت معجبة بعمر .. ترغب أحضانه إلا أن إعتزازه بصداقة زوجها كانت أقوى من أى إغراء .. ولكن عندما طلبت منه أن يرسم بريشته صورة لها وهى عارية تردد وخرج من تردده هذا بعد أن طغى إحساسه الفنى على كل ما عداه .. إعتبرها إحدى مودبلاته .. هى تحاول إستدراجه بجسدها العارى إلى فخ رغبتها وهو يثرى الفن بلوحة فريدة .

قتل هذا النوع لا يهمه فى قليل أو كثير ما يثرى الفن من صورة عارية .

فقاطعته قائلا :

— وأعتقد عبد الرافع بالتالى أنه طالما رسمها عمر عارية فلا بد أن يكون قد عاشرها .

— أنت معى على الخط .

— إذن فلماذا لم تعترف طمطم بالحقيقة كما قلتها الآن .

— فات الأوان .. ولم يعد ممكناً الإعتراف لأنها لن تجنى سوى الفضيحة والسجن وفصلها من وظيفتها .

— كل هذا ولم يهجرها زوجها .

— لو حدث فستلبت الجريمة عليه ، وستصبح الإشاعات التى تناثرت حولها أيضاً حقيقة .

— ومن أدراك أن لا تكون قد إختلقت تلك الرواية فأنت تعرف النساء فكيدهن عظيم .

— أبداً .. فقد قدمت أثناء ثورتها وانفعالها صوراً لها بالكاميرا ..

تظهر في بعضها عارية تماماً .. وفي البعض الآخر وهي في أوضاع جنسية شاذة مع يسري الأرناؤوطي .. أكثر من ذلك فقد دستها أنا الآخر في سرير زوجها بعد الحادث مباشرة .

ــ دستها ؟!

ــ في لغتنا نحن السائقين .. داس المرأة يعني أكلها .. وسكت قليلا ثم استطرد قائلا يائسا :

ــ كانت ليلة ولا كل الليالي .. زوجها غائب .. شربت خمس أكواب عصير قصب مخمر .. دخنت سيجارتين اقمه ممسين .. واستحلبت سنة أفيون تحت لساني وذهبت إليها في بيتها .. قابلتني بقميصها الأحمر المدندش .. وجسدها الفاجر الذي لا يشبع .. وصرخات جنسها المتوالية وبقيت أدوس عليها حتى الصباح .. لا تركوى .. ياسلام .. كانت ليلة ولا كل الليالي .

قلت ساخراً :

ــ هذه هي الصداقة واللا بلاش .

ومرت فترة صمت قصيرة قبل أن أقول :

ــ لقد بعدنا كثيراً عن موضوعنا .. كل ما أريده أن نتصرف في الجثة التي فاحت رائحتها ..

فأجابني بإصرار :

ــ ليس قبل أن أكمل لك القصة .

ــ أمرى لله ..

— بعد أن تأكد عبد الرافع وجود هذه العلاقة تفتق ذهنه وهو وشيخ البلد محمد المنبرى، وعم فتوح أحد الأعيان على إستدراج عمر من بيته ولم يجدوا أفضل من الطالب الأزهرى الفاشل عبد النعيم.. ووقع عمر فى الفخ .

وقاطعته قائلا :

— هل لى فى سؤال ؟

— قل .

— لقد فهمت دافع عبد الرافع للقتل ولكن شركائه ماذا يجنون من وراء ذلك ؟

— الحكاية بسيطة .. قبل الحادث بشهور حدثت مشادة بين عمر وبين شيخ البلد وعم فتوح .. أهانهم عمر وتجرأ عليهم بقوله أن حذائه أفهم منهم .. فضمروا له الشر .. وأوغروا صدر عبد الرافع حتى كان ما كان .

وسكت قليلا يستعيد مع لحظات صمته ذكرياته القديمة وأنا أسأله بإهمال شديد مصنوع وبشغف حقوق :

— هل إنتهيت .. حتى تتفاهم بشأن الجثة .

— مهلا .. فمن خلال قصتى ستعرف كيف يمكن أن نطمس معالم الجريمة .

— إسرع فقد نفذ صبرى .

— بعد أن أطلق عبد الرافع رصاصته القاتلة .. وبعد أن هدأت طمطم ولزمت حجرتها .. قمنا بتحنيط الجثة وحجرا ضخما داخل



شوال .. ثم حملناها فى سيارتى أجرة الأرياف وقذفنا بها فى النيل .. لتضاعت الجثة .

قلت له بنفس الإهمال :

— وضاعت معالم الجريمة .

أبدا .. حدثت مفاجأة لم تكن فى الحسبان فقد طفت الجثة على سطح الماء أمام البلدة كأنها تعرف طريقها ودفعها أحد الأهالى لتكمل مشوارها خشية تورطه مع إشاعات البوليس .. حتى توقفت أمام البلدة التى دفنت فيها ..

قلت له من جديد بضيق مكتوم وبسمة ذابلة مغتصبة :

— مصيبة !!

— ذهلنا .. فلم يكن فى ذهننا أن نسيج الشوال سيتآكل ويلفظ الحجر والجثة خصوصاً بعد مرور أربعة أيام . . تمزقنا خلالها .. وهدأت نفوسنا وارتاحت ضمائرنا . وقبضت علينا الشرطة واعترف عبد الرافع واعترفنا جميعاً بالحقيقة . وكما ولدت الحقيقة ماتت تحت سياج قضية الإعتراف تحت الإكراه البدنى . وتناقض أقوال « مصطفى » أخ المجنى عليه .. فقد سأله القاضى يوم المحاكمة .. كيف حددت شخصية عبد النعيم بالرغم من وجودك فوق السطح وتفصل بينكما مسافة لا تقل عن ثلاث أمتار يطويها ظلام حالك .. وابتدأ محامى المتهمين هو الآخر يعطر الشاب اليافع بالأسئلة فأوقعه فى فخ التناقض .. لذلك فقد نحى القاضى شهادة الأخ من ضمن أدلة الإثبات .

قلت له برنة انتصار :

— ومازال الجناة يمرحون.. وأنت متهم .

قال بدهشة وحيرة .

— ما هذه التهمة الجديدة .

قلت له من جديد :

— ألا تعرفني ؟!

— قال بتخاذل :

— لا تقل لي أنك ضابط مباحث.

قلت :

— قريباً ستعرف أمام المحكمة .

فاستدار إلى دورة كاملة وأمعن النظر في وجهي وهو يقول لي :

كيف لم أتبين ذلك .. إن الشبه كبير بينك وبين عمر .

قلت والقلق والحيرة يطلان يحدا تهما على داخله :

— ألم تسمع عن أخيه أحمد ؟!

وانتفض وهو يقول :

— والجثة التي حدثتني عنها منذ برهة .

— إنها قصة نسجتها من خيالي لافتح شهيتك للحديث الذي سجلته الآن .. فزوجتي حبة ترزق .

فابتسم من طرف فمه وهو يهمس لي :

— كان غيرك أشطر .



وبما عاودت النظر إلى الحقيبة وأنا أحكم إغلاقها ثم وأنا أحاول أن أجد طريق الخارج امتدت ذراعه يحاول بعنف خطف الحقيبة إلا أنني عاجلته بلطمة شديدة وطار صوابه وهو يحاول اللحاق بي.. وطرت أنا الآخر خارج السيارة أعدو الطريق لأقرب قسم الشرطة.. أطلب من ضابط الشرطة أن يفتح محضراً بالواقعة.. وبعد أن انتهى من أخذ أقوالي.. فتحت الحقيبة وأدرت مفتاح الكاسيت.. ولكنني فوجئت بأنه لا يعمل.. نضبت حجارته. أعدت تشغيله على قيشة.. فبدأ الصوت يتهجر.. أشبه بانسياب المياه في أرض جدباء مشققة إلى أن وصل الشريط إلى عبارة. أعصابك هادئة. وخرس.. خرس إلى الأبد. وأعدت لف الشريط وتشغيله.. ولكن لا جدوى فالشريط صامت.. استنتجت أن الكاسيت نفذت بطارياته في الوقت الذي بدأ يعترف فيه عروس بالجريمة.. يارب ما هذا الحظ التعس.. لماذا تنقذ هؤلاء المجرمين من أيدي العدالة.. أي حكمة في أن يتوقف عمل الكاسيت في الوقت الذي أصبح الدليل بين يدي.. ما هذا الحظ التعس.. وإذا بضابط الشرطة يقول وأنا جالس مستسلم وقد تملكتني الخيبة والمرارة:

— أين الجثة؟

— الجثة.. لقد دفناها منذ شهور.

— لا تتغابى.. قصدي جثة زوجتك.. التي اعترفت بقتلها.

— إبصق من فك.. فهي تأكل أرز مع الملائكة.

نهضت متخاذلا.. أود الخروج وإذا به يفاجئني من جديد:

ـ لا يمكن أن تمضى حال سبيلك قبل أن تتأكد من وجودها على قيد الحياة .

ـ التليفون أمامك لتتأكد منها بنفسك .

ـ لم يسبق لى عادتها حتى يمكن لى تحديد شخصيتها بسماعى صوتها فضلا عن أنه لا يمكن إثبات الوجود على قيد الحياة فى محضر رسمى بموجات الأثير .

ـ وتريد شهادة من إثنين موظفين تضمنهم وظيفتهم .

قلتها ساخراً .

ـ ليس أمامى سوى أن أستبقيك فى التخشيبة حتى تتأكد من صحة أقوالك فأنت متهم .

ـ سمة العصر لديكم إن الإنسان مدان حتى تثبت براءته .

ـ قلتها متهكما . . فأجابنى بحده :

ـ أرجوك . . فلسنا فى مجال الهذر السخيف .

ـ يا أخى إفهمنى . . إنها كانت خطة لم تكتمل . . لقد كان حظ عروس فى السماء . . عين الله سهرت عليه فى آخر لحظة .

ـ هذا لا يعفيك من مسئولية أقوالك .

همست بضيق وتبرم :



— صحيح على رأى المثل « صادك قبل ما تصيده » . ثم تدرج صوتى فى الارتفاع وأنا أقول له :

— والحل ؟

فأجابنى بسخرية شديدة :

— بيدك لا بيد عمرو .

— ماذا تريد منى أن أفعله يا حضرة الضابط .

— أن تتوجه معنا إلى بيتك لترى زوجتك .

— الساعة الرابعة صباحاً .. ماذا سيقول الناس ؟

— سيتم كل شيء فى هدوء .

وأمام إصرار الضابط الشرطة .. صحبته إلى فيلتى . . واستبقيته بحجرة الصالون . ودلفت إلى حجرة نوم سالى أريد أن ابكى على صدرها أحكى لها عما عانيت . كانت مستغرقة فى نومها واقتربت منها وأمسكتها . . ثم هززتها فى هدوء إنها تنام كالملائكة .. واسترعى إنتباهى درج الشوفنيرة .. لا يمكن أن تنام سالى وتتركه مفتوحاً . . وقد انزعت محتوياته على أرضية الحجرة .. صورتى محطمة .. مهشمة .. تضايقت إنها غاضبة منى .. ولكن كثير .. بل كثير جداً أن تهشم صورتى لأننى تأخرت بالخارج .. وجلست على طرف السرير . . تنام على وجهها .. ذلك أسلوبها معى عندما تكون غاضبة منى .. لا تردعلى .. أكثر من مرة أجد أن مبيتى فى الحجرة الأخرى خير علاج لتماديها فى غضبها ولكننى أشعر الليلة إننى فى حاجة إليها .. أريد أن أتحدث

إليها .. فمنذ الصباح وأنا أعقب عروس والنتيجة منهم يحاول إبعاد التهمة عن عن نفسه .

وهززتها وأنا أهمس لها .. سالى .. سالى .. إستيقظى .. ضابط الشرطة يريد رؤيتك .. بعدها سيكون كل شيء على ما يرام .. وهززتها من جديد وإذا بيدى تلمس .. ماهـــذا ؟؟ نزف دماء .. وأسرعت لاضوء الاباجورة وصرخت ..

وقبض على .. وبدأت الاستجوابات .. والاسئلة .. وأجوبتى الغامضة على عقول خبراء الشرطة المهرة بفنون البحث والاستقصاء .. وأعيتنى الحيل بعـــد أن أثبت الطبيب الشرعى فى تقريره أن الوفاة حدثت الساعة الثانية والنصف صباحاً .. وأثبت ضابط الشرطة من ذاكرته التى لاتخونه إن المحضر فتح فى تمام الساعة الثالثة .. وأصبحت أمام النيابة .. إعترافى بشريط الكاسيت ولا مطعن فيه بعد أن قدمته مختاراً .. وساعة فتح المحضر التى تلى جريمة القتل بنصف ساعة .. والباعث كما جاء بالتسجيل رؤية الزوجة فى أحضان عشيقها .. وأنكر عروس صوته فى التسجيل الناقص .. حتى هـذه المحادثة الناقصة لم تكن تدينه فى جريمة عمر .. فهو لم يعترف بشيء .. أما جريمة قتل زوجتى فقد أثبت تواجده لحظة قتلها مع شاهد ملفق إدعى أنه كان يقله بالتاكسى فلماذا إذن تبحث الشرطة عن الجانى الحقيقى إذا كانت قد عثرت على أدلة دامغة تدينى ؟ ! لماذا يستقصى رجل الشرطة وينقب لتطول اجراءات التحقيق .. وأمام عينيه احتمال فشله وقيد القضية ضد مجهول بما قد يسيء الى خبرته المنمقة فى البحث

والتنقيب عن المعادن النفيسة !! والنهاية أمسكت بطرف الخيط لتصعد به من سفح الهاوي الى قمة أوليمب العدالة !! وضاعت صرخاتي . .
لم أودع جثة زوجتي الحبيبة .. فقد واروها الثرى دون نظرة وداع أخيرة لوجهها البرىء .. وبعد سنة من العذاب متنقلا داخل أحراش السجون محبوسا حبسا احتياطيا وقف الأستاذ زهير المحامي ليترافع عن قضية خاسرة لم يخطب كما تعود المحامون . . انما ساق دليلا واحدا بعيداً عن الجدل القانوني النظري .. سؤالا واحدا طالب من النيابة الإجابة عليه .. . إن لكل جريمة باعث .. والباعث على القتل هنا كما أوردته النيابة في حيثيات إتهامها هو ضبط الزوجة متلبسة حسب ماورد باعترافات المتهم .. حتى لو كان ذلك صحيحاً بالرغم من أن القتيلة كانت ترتدى كل ملابسها الداخلية .. ومع أنها كانت حيضة .. ومع أن الطبيب الشرعي أهمل استيفاء الكشف عليها لمعرفة ما إذا كانت في تلك الليلة قد خالطت أحد . . حتى لو كان كل ذلك صحيحاً بقى سؤال هام .. أين العشيق .. ما هو اسمه ؟؟ . . ما هو عنوانه ؟؟ ما هى هويته ؟؟ مجهول .. مجهول ..

وأين هو التلبس .. أن إعتراف المتهم لا يجب أن يؤخذ منه دليلا ضده ، ويستبعد ما يستفيد منه . بل يجب أن يأخذ به ككل أو يرفض ككل .. ومن ثم فلا يجب أن نستفيد منه أن العشيق لم يكن في حالة تلبس بالزنا ونقيم الدعوى على هذا الأساس الواهي ..

لم تستطع النيابة الإجابة عن هذا السؤال وخرجت من السجن ..

وأنا أسأل وسأظل أسأل .. ألا يمكن للقضاء فتح ملف هذه القضية من جديد .. المتهمون ما زالوا يمرحون على الأرض .. يأكلون ويشربون ويتمتعون .. القضية لم تمت بعد .. قضية عمر .. الفنان .. أناشد العدالة النائمة أن تستيقظ من سباتها العميق .. أناشدها وأنا أعلم أنهم في الطريق إلى قتلي .. فإذا قتلوني فلتكن أحداث قصتي بداية الخيط لتتسلق به من سفح الإتهام إلى قمة أولمب العدالة .. ليصبح الحكم من جديد براءة !!

